تميمة

اســـــم العمــــــل	:	تميمـــــــــــــــــــــــة
النــــــــــــــــوع	:	روايـــــــــــــــــــــة
تـــــــــــــــأليف	:	عمــــــاد عبـــــدالرحمن
صــــــور الغــــــلاف	:	مــن موقــع بورســعيد زمــان
إخـــــراج داخلـــــي	:	عبـــــــدالقادر فـــــــايز
الطباعـــــــــــــة	:	اتيليــه تــاتش – المحروســة
الناشـــــــــــــــر	:	الـــدار للنشـــر والتوزيـــع
المـــــدير العـــــام	:	محمــــد صـــلاح مـــراد
تليفـــــــــــــــون	:	٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريـــد الإلكترونـــي	:	eddar_press@yahoo.com
فـــــيس بـــــوك	:	www.facebook.com/eldarpublish
رقـــــم الإيـــــداع	:	٢٠١٨/٢٧٧٧
التـــــرقيم الـــــدولي	:	I.S.B.N.: 978-977-702-212-5

تميمة

رواية

عماد عبدالرحمن

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

إلى الذين وقفوا بجانبي .... شكرا

إلى الذين هاجموني ..... شكرا

إلى الذين كانوا منافقين معي .... شكرا

إلى الذين أحببتهم وخذلوني ..... شكرا

إليكم جميعا جعلتم منى شخص آخر .. فشكرا

تقبلوا مودتي

عشقتك بكل كياني .. عشقتك بكل جوارحي

عشقت فيكى ... الحب يا بلدى

أنتي الهوا ..... وأنتي الدوا

يامصر يابلدى

الإهداء

لمن كانت حكايتهم مثل حكايتي أعرف أنهم آلاف .. عاشوها بنفس ظروفي بل من الممكن أن تكون أصعب من ظروفي وعلى الرغم من عدم معرفتي بأحد منهم .. لكنى أردت أن تكون حكايتي عن نفسي إهداء لهم والى كل من عاش نفس ظروفي

.....

نحن مثل الزهور

تداعبها الرياح ثم

يتساقط عليها المطر

فيفوح عطرها

عماد عبدالرحمن

أبـين زيـن .. أبـين زيـن .. وأخـط بـالودع شـوف بختـك يـادى الجـدع.. شـوف بختـك يـازين الشـباب .. أقـرا الغيـب وأعـرف الطـالع.. أشـوف المسـتقبل .. أرمـى بياضـك والرمـل والـودع هـا يقولك على المستخبى ....

تعالى يا ست قربى أقريلى الودع ..

طيب أرمى بياضك .. ألقيت أليها ببعض النقود .. جلست على الأرض وفتحت منديل وضعت به بعض الرمل .. ثم أخرجت بعض الودع من المشنة التي تحملها وفركتهم بين يديها ثم قربتهم من شفا يفها وكأنها تحدثهم ثم رمتهم على الرمل الذي في المنديل.

نظرت العرافة إلى ووجهها مبتسم وقالت : قدامك مشوار طويل .. هاتمشيه لوحدك ..

فيه ناس غاليين عليك هايفارقوك ومنهم اللي فارقك .. هاتشوف بنت جميله لكن مش من نصيبك .. فيه طيور واقفة على أكتافك.. لكن .. لكن .. هنا تغير وجهها .. قولي ياوليه لكن أيه..

كل شيء قسمه ونصيب يا زين الشباب ..

الودع خلص قوالة.. ربنا يحرسك يازين الشباب .. ماتخدش في بالك دة أكل عيش كلمتين بقولهم لكل زبون ربنا يحرسك يا زين الشباب سلام.. أغلقت المنديل بالرمل والودع ووضعته في المشنة التي تحملها.... وانصرفت سريعا قبل أن أتنبه إلى كلماتها ظللت في حاله من الذهول من كلامها ومين اللي هايفارقنى ومين البنت الجميلة اللي مش من نصيبي وأيه هي الطيور اللي واقفة على أكتافي ..

لم أفهم معنى لما قالته الست العرافة ولماذا تغير وجهها من مبتسم إلى عابس وجدت نفسي وقد استيقظت من النوم... وأنا أفتح عيني عندها شممت رائحة ورد وفل وياسمين تملئ الغرفة....

والبعض من الزائرين قد جاء لزيارتي طلبت من أحدهم فتح الشباك .. أتى الهواء منعشا برائحة البحر عشقي وحياتي على الرغم أن المستشفى في القاهرة .. تحاملت على نفسي وحاولت الوقوف ...

آتى أحدهم ليساعدني.. لكنى رفضت خاصة وأن عكازي هذا سوف يلازمني ما بقى لي من عمر ثم بعد السلامات وبعض الكلمات القليلة انتهت زيارتهم وانصرفوا ..

بعدها تم إحضار أحد الأجهزة التعويضية لتحل محل رجلي التي بترت كنت كارها هذا الشيء ولم أرغب أن أعتاد علية لكن مع بعض الإقناع من الدكتور والممرضات قررت على مضض أن أتجاوب وأقوم بتجربة هذه الرجل الصناعية كانت هذه أواخر أيامي بالمستشفى التي أعالج بها لم أعرف على وجه الدقة ماهى المدة التي قضيتها في حالة الإغماء وعندما تمت أفاقتي جرت بعدها عده محاولات للتعود على الوضع الجديد.. قمت ببعض التدريبات.. حاولت أن أتجاوب مع العكاز والرجل الصناعية في الأيام الباقية لي بالمستشفى كانت أحدى الممرضات ملازمة لي ولذلك قامت بمساعدتي للتأقلم مع الوضع الجديد تجولت قليلا بالغرفة وخارجها..

في مساء اليوم التالي حضر أحد القادة العسكريين الكبار بمصاحبه بعض القيادات عندما علموا بأفاقتى وقدم التحية باسم القائد الأعلى للقوات المسلحة وكان قد أحضر معه مزيدا من الورود

شكرته وطلبت منه أن يبلغ سلامي للقائد الأعلى ..

على الرغم مما مر بى وما تعرضت له.. أؤكد على حبي لبلدي ووطني ..

خرجت بعدها بعده أيام قلائل ... نزلت معي مجموعه من الممرضات وأيضا الدكتور المعالج وأوصلوني إلى السيارة الأجرة التي طلبتها .. لايصالى إلى الأسكندريه وعلى الرغم من الحالة النفسية السيئة ألا أنني سرعان ما قررت الخروج من هذه الحالة دون معاونة أو مساعدة من أحد والاعتماد على نفسي ومواكبة كل ما يحدث حولي من متغيرات لم أرغب أن أخبر أسرتي أي شيء عن ما حدث معي ..

بترت ساقي نتيجة أصابتى أثناء حرب تحرير الوطن المقدس من العدو الذي دنس بأقدامه تراب سيناء الغالية في البداية لم أتعود على السير بعكازي والذي سوف يلازمني باقي حياتي لم أرغب أن أذهب إلى مكان تهجير أسرتي ألا بعد أن أتعود على هذا الكائن الملتصق بى ..

لذلك ذهبت إلى الأسكندرية التي أعشقها مثل مدينتي ووجدت نفسي فيها فهي فعلا عروس البحر تعودت أن آتى إلى أسكندرية

خاصة في فصل الشتاء حيث تعودت على أن أتمشى بهمة ونشاط على كورنيشها حيث تتلاطم الأمواج مع بعض الصخور المتناثرة أسفل الكورنيش ليتصاعد رزاز الماء الذي يلامس وجهي كان هذا عشقي أثناء سيرى ....

توقفت أمام مبنى يشبه إلى حد كبير الشاليه الخشبي الخاص بنينتى الحاجة في مدينتي بورسعيد وعلى الرغم أن هذا الشاليه دمر وأحترق أثناء العدوان الثلاثي على مدينتي الصغيرة وكنت أيامها لا أزال في سن صغيرة ألا أنني أتذكرة جيدا ...

وقفت ونظرت إلى هذا الشاليه طويلا وتذكرت تلك الأيام وأنا طفل صغير لم يتعدى سنه الست سنوات أو من الممكن إن يزيد قليلا عندما جاء الغزو على مدينتي الصغيرة في بورسعيد وحملوا معهم كل هذا العتاد العسكري وقد جاؤوا فقط من أجل تدمير وإحراق هذا الشاليه الخاص بنينتى الحاجة والواقع على شط البحر في مدينتي الصغيرة كم كانت ملابسهم العسكرية تنم عن أنهم في طريقهم لإشعال الحرب العالمية الثالثة ولكنهم مع كل هذا الزخم والعتاد العسكري والبوارج وحاملات الطائرات وهذا الكم من المظليين الذين أنهمروا علينا قد جاءوا فقط لتدمير وإحراق شاليه نينتى الحاجة الخشبي المتواجد على شاطئ مدينتي ...

بعد انسحابهم من مدينتي ورغم هزيمتهم على يد أبطالنا من المقاومة الشعبية وبمساعدة من رجال الشرطة ألا أن هذه الحرب تركت في نفسي الكثير والكثير ...

فعندما ذهبت إلى مدرستي في أول سنة دراسية في نفس سنة الحرب وبعد انسحابهم من المدينة كانت البدايات عبارة عن رسومات تصور ما تم من تدمير وحرق في مدينتي وعلى الرغم أنني رأيت الكثير والكثير من المنازل التي احترقت نتيجة هذا العدوان

ألا أن صورة الشاليه ظلت عالقة في ذهني وأمام عيني في كل وقت وقد رسمتها في كراسة الرسم الخاصة بى أكثر من مرة حتى أن مدرستي في الفصل الدراسي قالت لى أكثر من مرة أنها تريد إن ترى تأثير الحرب علينا وأن نرسم ما رأيناه بأم أعيننا ألا أنني لم أرسم سوى صورة الشاليه الخاص بنينتى الحاجة ....

وهو محترق وقبل أن يحترق لكن مدرسة الفصل كان لها رأى آخر فهي تريد أن ترى في رسوماتنا صور الدبابات والطائرات أو حتى المظليين أثناء هبوطهم بمظلاتهم لكنى لا أرى سوى رسم الشاليه فقط ...

لدرجة أنها اشتكت إلى والدي منى كان والدي من كبار العاملين بمديرية التربية والتعليم في ذلك الوقت .

كنا أثناء هذا العدوان على مدينتي كان الوالد يجمعنا ونسير في خوف ورعب من كثرة القنابل المتساقطة على مدينتي وكان الوالد والوالدة يقومون بعدنا بعد كل مرة نعبر فيها شارع أو حارة أو حتى بعد كل غارة من طائرات العدو ونحن نبحث عن ملجأ آمن يؤوينا من هذه القنابل المتساقطة فوق رؤوس الجميع ..

كان الوالد يقوم بجرنا من أيدينا أنا وأخوتي وفى كل لحظة أو أقل يقوم الوالد بعدنا خشية أن يكون أحدنا قد تاه بعيدا أو خرج دون أن يلحظه أحد.. كان يتم خروجنا من منزلنا عندما يحل الظلام فلقد تعود العدو على ألقاء القنابل ليلا ولم نكن نرغب أن يتم هدم البيت علينا ونحن داخلة ..

في أحدى المرات وأثناء عدنا خشيه أن يكون أحد منا قد تاه وجدنا الوالد وقد زدنا واحد ورغم أن الظلام دامس لكن الوالد أصر أن يعرف من هو هذا الزائد لم نستطع حتى أن نرى من هو ولا يمكننا حتى إشعال عود من الثقاب ..

لذلك أمسك الوالد بأيدينا ليعرف من هذا الواحد بعد عدنا أكثر من مره ومناداتنا بأسمائنا في همس ليتأكد الوالد ..

اكتشفنا أنه ألواد جرجس أبن ست مارى جارتنا التي في الدور الأرضي وكان من نفس سننا أو أكثر أو أقل يبدو أنة مسك أيد أحدنا أثناء خروجنا من البيت لكننا لا نعرف كيف أنضم جرجس ألينا في أثناء جرينا للبحث عن ملجأ أمن وفى صباح اليوم التالي سألته والدتي كيف أنضم ألينا فقال لها أنة أعتقد أن أمة معنا لذلك امسك بيد أخي الأكبر ...

عند ظهور ضوء النهار وتوقف الغارات الجوية وإثناء عودتنا إلى منزلنا كنا نسكن في منطقة أمنة نوعا ما حيث إن بها بعض الأجانب القاطنين بمدينتي ولكن كان الحرص واجب .....

إذ ربما تخطيء الطائرات إثناء الليل كما أن بين بيتنا والمنطقة التي يقصفها العدو لا تتعدى أكثر من ثلاثمائة متر كما كان بعض الأجانب أيضا يخرجون يبحثون عن ملجأ أمن إثناء الغارات عند وصولنا إلى منزلنا قامت والدتي بتوصيل جرجس إلى والدته حيث أنها لم تنم طوال الليلة الماضية اعتقادا منها أنه

قد تاه أو قتل في أثناء الغارات الجوية على المدينة وظلت في بكاء طوال تلك الليلة..

لم يكن هناك أي دورة مياه للدخول إليها وكنا نتصرف حسب الظروف الموجودة أمامنا كانت فرصتنا في أحدى البالوعات القديمة في مدخل أي عماره نلجأ إليها وإذا لم يتواجد كنا نبحث عن بعض العلب الصفيح القديمة والتي نحصل عليها من مخلفات العدو ..

كنا نقضى حاجتنا بها وكانت الوالدة تقوم بغسلها بعد كل استعمال على الرغم من قلة المياه نتيجة ضرب العدو لمحطة مياه المدينة .. كنا أطفال لكننا كنا نشعر بالخطر المحدق بنا نتيجة هذه الحرب كنت أبكى كثيرا ليس خوفا من الحرب ..

لكن لأنني لن أذهب إلى مدرستي التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر.. كنا ننظر إلى السماء والمطر ينهمر بغزارة .. كانت هي المرة الأولى التي أرى فيها المطر ينهمر محمل بالسواد ..

لم يسبق لي أن رأيت مطر أسود آلا في هذه الليلة وعندما كبرت عرفت أن دخان الحرائق التي أحرقت مدينتي قد اختلطت مع مياه الأمطار أثناء صعودها إلى السماء فنزل المطر أسود ..

كانت ليلة من الليالي المرعبة فقد ظلت الحرائق مشتعلة لمدة ثلاثة أيام رغم هطول الأمطار .. تركت الحرب في نفسي كراهية للدول المعتدية مع خوف ورعب من القنابل المتساقطة والمطر أما في النهار كنا نمارس اللعب مع بعض الصبية وكان اللعب مجرد تمثيل للأعداء وشباب المقاومة وكنا نتبادل اللعب فيما بيننا .. ظللت بفارغ الصبر أنتظر انتهاء هذه الحرب اللعينة حتى أذهب إلى مدرستي كنت قد ولدت قبل الحرب بعدة سنوات ...

وكان ذلك في ليلة من ليالي الشتاء الباردة وعندما شببت قليلا كنت اسمع بعض الحكايات من نينتى الحاجة والتي كانت أغلب حكاياتها تتركز حول اليهود خاصة وأننا كنا نسكن قريبا من حارة اليهود أو حي اليهود كما كانوا يطلقون علية .. كان عبارة عن مربع كامل وبة أيضا المعبد اليهودي ...

والذي كانت نينتى تحكى لنا عن هذا المعبد وأن اليهود لهم طقس يمارسونه داخل معبدهم وهذا الطقس يتمثل في خطف أحد الأطفال الصغار..

ثم يضعونه داخل برميل كبير مملوء بالمسامير ويتم تقليب البرميل عدة مرات والطفل بداخلة حتى يسال دمه نهائيا ثم

يأخذون هذا الدم ويتم خلطة بالدقيق والسمن لعمل فطير وأكلة حسب عقيدتهم .....

(على الرغم من عدم تصديق أو نفى تلك المقولة)

لم أكن أعي هذه المقولات حيث كانت سني لم تتجاوز السادسة من العمر .. لكنى كنت أستمع إلى هذه الحكايات والحواديت في شغف وتركت في داخلي قناعة عن هؤلاء الناس .. على الرغم أنني لم أقترب منهم ولم أتعرف عليهم عن قرب خاصة وأنني في سن لم تتجاوز السادسة من العمر أو من الممكن أن تزيد قليلا .. كنت طفل صغير عندما رأيت المدينة تحترق والجثث تملأ الشوارع والقذائف والمطر الأسود ينهمران علينا ..

وقفت طويلا أمام هذا الشاليه الخشبي المتواجد على شاطئ الاسكندرية وهو الشبيه لشاليه نينتى الحاجة المحترق منذ فترة زمنية على شاطئ بورسعيد .. استعدت الذكريات وكنت أمشى لفترة قصيرة ثم أرتاح لفترات آخري بسبب عدم التعود على السير بعكاز ورجل صناعية

كان لي زميل دراسة في مدرستي في سنتي الأولى وكما لم تسلم مباني المدينة لم تسلم مدرستي أيضا من بعض الأسوار المهدمة

وبعض الأخشاب المحترقة المتطايرة من المباني المواجهة للمدرسة إلى جانب تكسير معظم النوافذ الزجاجية كنا نذهب إلى المدرسة لكن كان حوش المدرسة هو مكان انتظام دراستنا ..

خشية الصعود إلى الأدوار العليا حتى لا تنهار المدرسة علينا إلى أن جاء مجموعة من المهندسين والمقاولين وأكدوا أن المدرسة يمكن استخدامها للدراسة بعد تنظيفها من الآثار التي علقت بها من آثار الخشب المحترق وجزء مهدم من السور الخارجي ..

وبالفعل انتظمت الدراسة.. تزاملت مع أحد التلاميذ منذ اليوم الأول للدراسة في مقعد مشترك أسمة إبراهيم .. تشاركنا في كل شيء.. لم يكن إبراهيم يسكن معي في نفس العمارة أو الشارع لكنة كان قريبا من بيتنا في حين أن العمارة التي نسكنها لم نكن نعرف من منا المسيحي أو المسلم فقد كنا جميعا عائلة واحدة ..

أثناء سيرى أحسست بالجوع فذهبت إلى أحد المخابز لإحضار بعض الخبز لأنني كنت أحب الخبز وهو ساخن دائما أعطيت البائع مبلغ من المال ووقفت في انتظار خروج الخبز الساخن وأثناء وقوفي أمام الفرن راودتني ذكرى فى صغرى ....

وهى يوم الخبيز فقد كانت نينتى الحاجة تقوم قبل آذان الفجر بتحضير الماجور الخاص بالعجين وغسله وتنظيفه ثم تقوم بالعجين فيه بمساعدة من والدتي ثم يتركانه ليختمر مع صباح نفس اليوم ثم بعد ذلك يبدءون في تقريص وعجن وفرد العيش على النواقص المعدة لذلك ثم نحملها ونحن أطفال على رؤوسنا وكنا نسير في طابور طويل من البيت إلى احد المخابز القريبة من البيت ..

كنا جميعا أطفال العمارة بل كل أطفال الشارع .. في أثناء خبز العيش في الفرن كانت نينتى الحاجة ووالدتي يقومون بعمل كمية كبيرة من أطباق البصارة وعند حضور العيش من الفرن كان يتم توزيع طبق من البصارة مع رغيفين من العيش الطازج لكل شقة من شقق العمارة ..

كان الكل لابد وأن يتذوق من طعام الشقة التي خبزت اليوم وغدا شقة آخري وهكذا ..

ناداني بائع العيش وقال : العيش يا أستاذ تنبهت وحصلت على عيشي الطازج كان العيش من النوع الكيزر الذي يستخدم في سندوتشات البور جر حملت العيش وكنت قبلها قد اشتريت بعض

الجبن الأبيض وبالفعل توجهت إلى المقهى الذي أرتاده دائما لتناول بعض من الشاي الدافئ مع أكل العيش والجبن ..

حينها تذكرت كل أطفال العمارة عندما كانوا يصطفون عند عودة العيش من الفرن كانت نينتى تعطى كل طفل طبق من البصارة مع الرغيفين لتوصيلهم إلى الشقة التي تحددها له من شقق العمارة وعند عودته بعد توصيل المطلوب كانت نينتى تمنحه رغيف صغير كانت نينتى تقوم بخبزه مسبقا من أجلنا ونحن أطفال ....

وقد كان هذا الرغيف ليس مثل باقي العيش كان يطلق علية أسم (حنون) وهو مليء باللبابة من الداخل وعند حضوره من الفرن ساخن كنا نتسابق للحصول علية ...

كان يشبه إلى حد كبير هذا الكيزر لكنه كان صناعه بيتي وقبل إن نحصل عليه كانت نينتى تصر على أن نحضر لها الزروية الخاصة بها والتي تحتفظ دائما بها تحت السرير النحاسي الخاص بها والذي تعلوه ناموسية مزركشة خاصة به ...

كانت الزروية تمتلئ بالسمن البلدي وتقوم بفتحها فينطلق منها رائحة نفاذة تفتح النفس ثم تقوم بوضع ملعقة من السمن على

الحنون مع كمية من السكر وكانت هذه هي المكافأة التي نحصل عليها وكنا نستمتع بهذا وتغمرنا السعادة ...

ظللت بالمدرسة الابتدائية بعد انتهاء الحرب البشعة على مدينتي الصغيرة وكانت ذكرياتي تزيد يوما بعد يوم عن هذه الحرب الملعونة .. مع مرور الأيام بدأت البلد بوضع خطة لإزالة آثار العدوان عن المدينة وبدء العمران ينتشر بها من المساكن الجديدة كذلك افتتاح بعض المشروعات الصناعية والإنتاجية وكان كل أهل المدينة فى حالة من الفرح بما يتم على أرض مدينتهم ...

على الرغم أن هناك عائلات بكاملها فقدت في الحرب

.....

كما انتشرت أغاني الثورة وكنا نرددها سواء في المدرسة أو خارجها .. أما مسألة الدين لم يتطرق إليها أحد في يوم من الأيام سواء كبير أو صغير ....

كانت المتعة الحقيقية هي يوم الخميس من كل أسبوع وكنا ننتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر من الأسبوع إلى الأسبوع إذ أن الوالد سوف يعطى كلا منا مبلغ خمسة قروش وذلك للذهاب إلى السينما

والتي كانت تذكرة دخولها في ذلك الوقت لا تزيد عن قرشين ونصف أما باقي الخمسة قروش فكانت حسب رغبتك تشترى بهم ما تريد ..

مع مرور الأيام زادت أجرة دخول السينما إلى ثلاثة قروش ونصف لكن الخمسة قروش لم تتغير ...

كنت مغرما جدا بالسينما ومشاهدة الأفلام الأجنبية .. كما كنت أسعد بالكارتون الذي كان يقدم قبل بداية الفيلم الأجنبى عندما كنت أذهب للمدرسة كنت احكي لإبراهيم عن الفيلم الذي شاهدته كان إبراهيم هو التلميذ الذي تجاورنا في المقعد المشترك ....

وكنا نقتسم كل شيء سويا حتى السندوتشات كنا نتقاسمها حكي لي إبراهيم عن الأفلام التي كان يشاهدها في الصيف وأنه كان يشاهد معظم الأفلام التي يحكى لي عنها دون أن يدفع قرش واحد في المشاهدة ..

في البداية اعتقدت أن والده ربما يعمل في أحدى دور العرض السينمائي وأنه يأخذه معه في الصيف فقط ....

لكنه حكي لي أنه يسكن في عماره في الدور الثالث وهى عماره مقابله لأحدى دور العرض السينمائي الصيفي بالمدينة لذلك فهو يستمتع بالمشاهدة دون أن يدفع مليما واحدا .... فضحكنا جميعا .. ولكنى قلت له أنه في فصل الشتاء لا يستطيع إن يشاهد أي من الأفلام وظللنا نضحك كثيرا ... في يوم من الأيام قال لي إبراهيم أن السينما الصيفي سوف تفتح هذا الأسبوع وأنهم يقومون بالتجهيزات لافتتاح السينما على الرغم أنه لازال هناك أكثر من شهر على انتهاء الدراسة وقد كانت العادة أن السينما الصيفي لا تفتح ألا بعد انتهاء امتحانات نهاية العام الدراسي لكنه أكد ذلك وقد دعاني للذهاب إلى بيتهم يوم الافتتاح ويمكننا أن نشاهد الفيلم سويا ...

وأنهم أحضروا أحدث الأفلام لعرضها كانت فرصه لى .. ذهبت مع إبراهيم إلى بيتهم المقابل للسينما للاستمتاع بالفيلم دون أن أدفع مليما في المقابل ..... جلسنا في بلكونه بيتهم وشاهدنا الفيلم .. كان فيلم (القرصان الأحمر) للممثل العالمي برت لانكستر .. كنت مغرما جدا بالحركات التي كان يؤديها هو والممثل الأخرس الذي يقاسمه البطولة ولا أدرى هل هذا الممثل أخرس حقيقي أم كان أداء تمثيلي ..

ظللنا هكذا كل أسبوع أذهب إلى السينما وأشاهد فيلمي ثم أحكى لإبراهيم عليه .. ثم أذهب إلى بيتهم لمشاهده الفيلم المجاني من خلال بلكونه بيتهم ..

مرت أيام الدراسة بسنواتها ونحن على هذه الحال ..

كانت لى طبيعة خاصة عن غالبية أخوتي .. حيث أنني كنت لا أرغب البقاء في المنزل طويلا لذلك حاولت أن أتعامل مع الأشياء وكأنني كبير ولست طفل كما يقولون ...

كان البحر هو عشقي والذي أذهب إليه خلسة من وراء الأهل في محاوله لرسم واقع خيالي فيما وراء هذا البحر والذي كنت أستمع جيدا إلى صوته وظلت تلك الأصوات أستمع إليها في كل وقت حتى عندما اختلى بنفسي أو عندما أهم بالنوم ..

كان هو من يؤنسني وأقف لأتذكر الشاليه الخشبي لنينتى الحاجة والذي أحترق ودمر أثناء العدوان الغاشم على مدينتي الصغيرة ..

كنت عندما أذهب للبحر أتذكر الشاليه بكافه تفاصيله حتى من الداخل كما أتذكر جيدا مكانه بالتحديد والرمال التي كنا نلعب بها ونصنع منها أشكال على شكل بيوت من الرمال أو على هيئه

أسماك من الرمل ونضع عليها بعض من الأصداف المتناثرة على الشاطئ ..

مرت أيام الدراسة سريعا وحان وقت التقدم إلى المرحلة الاعداديه كنا في أوائل الستينات .. في هذه اللحظة فقدت نينتى الحاجة .. لم أتخيل في يوم من الأيام أنني سوف أفقد أحد من أسرتي أو أي إنسان غالى عندي لذلك كانت هي الصدمة الأولى في حياتي لذا فقدت أرتباطى بالحياة وهجرت كل شيء حتى الدراسة لم تعد كما كانت بالنسبة لي كان الجميع يواسونني ...

كان أهمهم الخال الذي أحتضننى وظل يربت على كتفي على الرغم أنة هو الأخر في حالة من الحزن الشديد .. أيضا بعض الأصدقاء من أطفال الشارع والعمارة وأيضا إبراهيم وبعض من التلاميذ والمدرسين كان الجميع يواسيني .. لكن سرعان ما تماسكت .. أما ما كان يعينني ما تبقى لي منها بعض من حواديتها وحكاياتها التي حفظناها وكانت تحكيها لنا وقت العصارى ..

لم أجد نفسي ألا واقفا أمام البحر وأنا أحكى له عن فقدي نينتى أصبح البحر هو زادي وزوادى حدثته علني أجد أجابه أو تفسير عن سبب الموت والفراق الأول في حياتي .

شكوت أليه كثيرا لكن لم أعد أدرى هل أنا من يشكو له أم هو الذي يشكو لي لم أعرف على وجه ألدقه هل أنا حاضن للبحر أم هو حاضن لي ..

أفرغت ما بداخلي إليه دون أن أتكلم أو ربما تكلمت ولم أسمع نفسي .. شكوت أليه لم أعد أدرى هل هو مستمع جيد أم أنا الذي يستمع له .. إلى أنينه عندما تتلاطم الأمواج وراء بعضها كما تتلاطم الأفكار داخل رأسي ..

تخيلت الموجه آتيه بروح جديدة من دنيا بعيدة لكنى لا أدرك من أين آتى هذا الإحساس .. لكنى أحسست بشيء من الراحة وكان هو ملاذي عندما يحدث شيء أو أواجه مشكله كنت أذهب إليه..

في أحد الأيام ظل إبراهيم يبحث عنى في كل مكان وأخيرا تذكر أنني من الممكن أن أكون بجوار البحر حيث أنة الوحيد الذي يعلم مكاني أذا لم يجدني في البيت أو الشارع آتى في ذلك اليوم وحكي لي أن والده اختفى منذ بضعه أيام كنت لازلت غارقا في

أحزانى من فقد نينتى و لم أدرى ماذا أفعل لكنى ذهبت أنا وهو نبحث عن والده في كل مكان من الممكن أن يتواجد به لكننا لم نعثر له على أي اثر

بعدها بعده أيام حضر إلى منزلهم صديق لوالده وأخبرهم أنه غادر إلى ايطاليا هربا وخوفا من اعتقاله من قبل السلطات حيث كان يقوم بتهريب بعض الأموال إلى الخارج حكي لي إبراهيم كل ذلك عن والده ..

بعدها بفترة قصيرة كنا تقريبا في الصف الثاني أو الثالث الأعدادى وكنا في أوائل الستينات عندما خطرت لنا فكره القيام برحله إلى القاهرة ولأنني أعلم تمام العلم أن والدي سوف يرفض مسبقا القيام بأي رحله وحدي فقد كانت اغلب الرحلات التي قمت بها كانت مع الخال وزوجته وكانت أغلبها إلى الاسكندرية والتي عشقتها بسبب ذهابي معهم إليها وكنت أمرح وأجرى على كورنيشها لمدد طويلة

لذا قررنا أن نجعلها خلسة من وراء الأهل وقد وافقني إبراهيم على تلك الفكرة .. كانت الفرصة مهيئه لذلك عندما سمعنا عن مباراة كبيره بين نادي مدينتي وأحد الأندية الكبار بالقاهرة وأن

هناك قطار سوف يحمل مشجعي الفريق ودخول المباراة ثم العودة إلى بورسعيد في مساء نفس اليوم ...

كنت أعلم في قراره نفسي أنني سوف أتعرض للعقاب الشديد أذا علم الأهل بذلك لكنى جازفت ورأينا أنها فرصه جميله أن نشاهد ونتفرج على القاهرة المجهول بالنسبة لنا

في اليوم المحدد لموعد المباراة ..

غادرنا بالقطار إلى القاهرة ركبنا مثل الآلاف كان القطار مليء على آخره منذ الصباح الباكر ولم نجد مكان سوى فوق سطح القطار .. ركبنا مثل غيرنا كان معنا بضعة قروش قليله لن تكفى حتى ثمن التذكرة أو حتى دخول المباراة ..

كانت هي المرة الأولى التي أركب فيها قطار بهذه الطريقة لكنها كانت مغامرة جديدة علينا ومليئة بالتشويق فقد كان هناك الكثير والكثير مثلنا وعلى الرغم أننا لانعرف أحدا منهم ألا أننا تصادقنا..

عند تحرك القطار تم التنبيه علينا من البعض منهم أن نتمسك بأي شيء لأن الهواء سوف يكون شديدا جدا ومن الممكن أن نسقط من سطح القطار بسبب السرعة وشده الهواء ..

خاصة عندما علموا أنها المرة الأولى التي نركب بها بهذه ألطريقه..

عندما أسرع القطار تصاعد الدخان من مدخنه القطار وأصبحت وجوهنا يعلوها السواد ونبه البعض علينا بعدم الوقوف أو الجلوس على سطح القطار لأن هناك بعض الكباري المنخفضة والتي يعبر القطار من تحتها لذلك تم نصحنا بالنوم على وجوهنا في فترات يشير لنا بها مجموعه من الراكبين مثلنا والذين سبق لهم الركوب بهذه الطريقة عده مرات ....

عند وصولنا محطة باب الحديد بميدان رمسيس توجهنا من فورنا إلى تمثال رمسيس خاصة أن به نافورة مياه واغتسلنا من الرماد الذي يعلو وجوهنا ثم سرنا مع الجماهير الغفيرة باتجاه النادي الذي ستقام عليه المباراة ....

لم يتمكن أغلبنا من دخول النادي على الرغم إن البعض يحمل معه التذاكر الخاصة بالدخول كذلك لعدم وجود تذاكر في شبابيك النادي للمباراة أو نتيجة غلق أبواب النادي مبكرا ..

كانت فرصه لنا للتعرف على القاهرة والتجوال بها أو حتى معرفه بعض المعالم التي نسمع عنها فقط في الكتب إلى أن يحين موعد عوده القطار لبورسعيد ..

وصلنا إلى ميدان الحسين حيث عبق التاريخ شاهدنا مسجد الحسين وعلى البعد شاهدنا مرتفع يصل حتى القلعة .. توقفنا أمام أحد مطاعم الفول والطعمية وقررنا أن نتناول بعض السندوتشات..

كانت السندوتشات لذيذه لدرجه أنني اعتقدت أنها المرة الأولى التي أتذوق فيها الفول والطعمية ... في أثناء تجوالنا بميدان سيدنا الحسين رأينا بعض من المحلات التي تقوم بصناعة أوراق البردي والبعض الأخر ممن يصنعون بعض الحلي أو بعض السبح الطويلة تجولنا في بعض الشوارع الضيقة وكذلك بعض من العمال الذين ينقشون الإطباق النحاسية المزخرفة ....

كنا نريد أن نستمتع بأكبر قدر وعند عودتنا إلى الميدان صادفنا بعض الأجانب وكان الأطفال يلتفون حولهم وبعض من المارة يحاول أبعاد الأطفال عنهم حتى لايضايقوهم أثناء سيرهم أو وهم يبتاعون بعض الأشياء من البائعين الجائلين أو من خلال المحلات كان هذا المشهد بالنسبة لنا عادى حيث أننا كنا نسكن على مقربة من بعض الجاليات الأجنبية بمدينتي وكنا نراهم في كل وقت أثناء ذهابهم إلى أعمالهم أو أثناء التسوق او وقت العصارى فى الصيف عندما كانوا يخرجون بعض الكراسي للجلوس إمام منازلهم

جلسنا على أحد المقاهي لتناول بعض من الشاي وأثناء

جلوسنا صادفنا بعض المجذوبين وبعض من مريدي الحسين وهم ينادونه بأعلى صوتهم يا حسين واحسيناة وبعض العبارات الغير مفهومة كما كان هناك بعض من حاملي المباخر والتي تفوق رائحتها رائحة المسك علمنا أن مولد سيدنا الحسين قد أقترب وان الجميع يستعد له ..

الميدان كان مليء بجميع الإشكال المختلفة من البشر أجانب ومصريين من الصعيد ومن بحري ومنهم من هم من الأرياف إلى جانب كمية كبيرة من الأطفال من جميع الأعمار ...

كما صادفنا أحد بائعي التذكارات المصرية والذي يبيعها إلى الأجانب والمصريين على حد سواء وكان يحمل بعض من أوراق البردي ومجموعه من السبح الطويلة إلى جانب بعض من الأشياء المصنوعة من الحجارة وبعض من التمائم الجلدية والتي يتم حفر أحد الأحرف عليها بالأنجليزيه ...

في تلك اللحظة كنت أرغب في دخول دورة المياه لذلك تركت إبراهيم في المقهى لبعض اللحظات حتى أذهب إلى دورة مياه مسجد الحسين عند عودتي كان هناك شيء أراد إبراهيم أخباري بة حاولت الاستفسار منة ولكنة ظل مترددا

لذلك لم أرغب أن أضغط علية لمعرفة ما الشيء الذي يريد أخباري بة ....

لذا عدنا بعد ذلك إلى محطة باب الحديد وتوجهنا إلى القطار المغادر إلى رحله العودة لبورسعيد .. تقابلنا مع بعض من الجمهور المرافق للقطار وعرفنا أن فرقتنا قد هزمت الفريق

المنافس على أرضه وبين جمهوره فرحنا جدا وركبنا القطار بنفس الطريقة التي ركبنا بها في رحله الذهاب وكنا ننشد بعض أغاني التشجيع الجميلة والخاصة بفرقتنا ...

سار القطار وأنطلق .. لكن سرعان ما تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ففي أحدى المحطات القريبة من بلدتي توقف القطار وكانت قوات الأمن تنتظرنا بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر وكأن بيننا وبينهم ثأر بايت فقد تم ضربنا وإنزالنا من على القطار ثم تم اقتيادنا إلى مركز شرطه المحطة مكبلين بالأصفاد ...

قضينا هذه الليلة في حجز القسم وفى الصباح تم ترحيلنا إلى بورسعيد مكبلين أيضا بالأصفاد وتم تسليمنا في نقطه شرطه محطة السكة الحديد ببورسعيد وبعد عده ساعات تم الإفراج عنا فلم تكن هناك أيه تهمه سوى أننا مشجعي الكوره .. لكن الخروج كان مشروط بضمانه الأهل ...

حضر الخال إلى قسم شرطه المحطة وقام بضماني وخروجي في أثناء ذلك تذكرت أن والد إبراهيم ليس موجود في بورسعيد وسوف يجد صعوبة في أيجاد من يضمنه لذلك طلبت من الخال أن يضمن إبراهيم أيضا حيث أن والده غير موجود في بورسعيد

كان الخال يحبني جدا ولا يرفض أي مطلب لي تم عمل الضمانة اللازمة بعدم تكرار ما حدث ...

بعدها ذهبت إلى بيت الأسرة والقريب من محطة القطار وودعت إبراهيم على أن نلتقي مره آخري ....

لم يكن هذا ما خططنا له حيث كان المفترض أن نذهب ونعود في نفس اليوم دون أن يعلم أحد .. كانت العائلة في حاله من الحزن وكأنهم فقدوا الابن ..

كان الوالد ينظر ناحيتي نظره متوعده بعقاب ... بعدها نادي على والدتي وقالها : أعملي له أكل تلاقيه ما أكلش من أمبارح عشان يأكل وينام ولما يصحو نعرف منه باقي القصة ..... كان الوالد قاسيا جدا من شده خوفه علينا خاصة وأنه يعمل في مجال التعليم ويريد كل أبنائه أن يكونوا في أحسن حال وأحسن صوره أمام المجتمع والناس

كان ما يطمئنني أن أبقى بجوار الخال خاصة وأنة يسكن في العمارة المجاورة لنا وكان والدي يحترم الخال كثيرا وهذا منحنى بعض الثقة والطمأنينة ....

كانت العادات والتقاليد تحتل جزء كبير من حياتنا كنت في معظم الأوقات أتحاشى تواجدي بالمنزل أثناء وجود الوالد خشيه التعرض للعقاب خاصة وأنه كان دائما يستخدم حزام البنطلون للضرب والعقاب .. الحزام المصنوع من الجلد كان أشد قسوة من قسوة الكرباج ..

أثرت على هذه الرحلة تأثيرا كبيرا .. لذلك اتجهت إلى البحر لمحاوله أيجاد تفسير لما حدث كذلك لأستعيد ذكريات ما قمنا به في هذه الرحلة ..

كنت سعيد بالرحلة التي قمنا بها إلى القاهرة .. سرت على الشاطئ كثيرا وكنت في بعض الفترات أجد أحدى مراكب الصيادين على الشاطئ أرتاح بجانب أحداها ثم أعاود المسير كنت اخلع حذائي وشرابي وكذلك ارفع البنطلون حتى ركبتي حتى لا تطولهم مياه البحر كنت أضع الحذاء داخل بنطلوني عند نقطة الحزام وانأ أسير وأنظر إلى الأفق البعيد وكنت أنظر إلى البحر أثناء سيرى صادفت الكثير من الأصداف غريبة الشكل كما وجدت أحدى نجمات البحر لم أنتبه ألا أنني واقف في المكان الذي كان به شاليه نينتى الحاجة ..

ووجدت إبراهيم أمامي ونظرت إلى وجهة كان ينظر الى الأرض ولا يريد أن ينظر لي كانت الدموع تنهمر من عينية بغزارة ثم قال لي أنة سوف يغادر بورسعيد إلى ايطاليا للحاق بوالدة الذي ينتظرهم هناك لم يكن يرغب أن يخبرني ونحن في أثناء رحلة القاهرة حتى لا أزعل وأنتظر إلى أن عدنا لبورسعيد كما أخبرني أن والدة لن يستطيع أن يرسل لهم نقود بحجة أن السلطات سوف تصادرها نتيجة أن والدة هارب من بعض الإحكام القضائية كان ذلك ونحن على وشك وداع المرحلة الإعدادية .. لم استطع إن أتكلم فقط .. وقفت أنظر للبحر فمنذ فترة ليست بعيدة ...

فقدت نينتى الحاجة والآن أفقد إبراهيم أيضا وكما ودعت نينتى الحاجة ودعت إبراهيم ووجدت دموعي تنهمر منى وأنا أنظر إلى البحر وتذكرت الباخرة التي حملت إبراهيم وأسرته وأنا واقف بجوار البحر أنظر للباخرة من رصيف الميناء وأمد يدي للوداع إلى أن اختفت الباخرة ... لذلك قررت بعدها أن أتجه إلى أحب الأشياء إلى قلبي ...

فن التمثيل الذي كنت أهواه وكنت أدخل إلى السينما أسبوعيا لمشاهده الأفلام وكذلك بعض الأفلام في السينما الصيفي ببيت إبراهيم .. فلقد أحببت التمثيل منذ نعومه أظافري .. مارست

بعضا منه في المدرسة الابتدائية كما كنت اعتنى بالخطابة في ميكروفون المدرسة فهو جزء كبير من التمثيل كما حصلت على أحد الأدوار في مسرحيه وعمري لم يتجاوز الثماني سنوات ظل هذا الدور ..

عالقا في ذهني ومحتفظا بذكراه لفترة طويلة من الزمن لذلك بعد هذه الرحلة .. قررت الأتجاة إلى تنميه موهبتي وصقلها بحثت عن أنسب الفرق المسرحية لم أجد سوى قصر الثقافة الذي كان على وشك الافتتاح ... دخلت إلية على الرغم من عدم اكتمال البناء الخارجي وبعض المنشآت الداخلية القليلة ..

كان ذلك في الربع الأول من الستينات .. كان هذا هو المتنفس الوحيد .. خاصة أن مدينتي تبعد عن القاهرة .. وليس بها مسارح كثيرة ..

أو فرق مسرحيه مثل التي توجد بالقاهرة .. انضممت الى أول تكوين للفرقة المسرحية ..

ثم أنضم بعدى العديد والعديد من الزملاء .. تمرست وتعلمت المسرح وفن التمثيل من الإلف إلى الياء ..

حصلت على أدوار عديدة .. وتعلمت كل شيء في فن المسرح من تمثيل و ديكور وأضاءه إلى جانب تدريبات اللياقة البدنية وبعض من دروس الاسترخاء إلى فن الارتجال .. وفن الإدارة المسرحية وكل النواحي الفنية الخاصة بالمسرح حتى الندوات التي كانت تعقد عن أي كاتب مسرحي سواء محلى أو عالمي كنت مشاركا بها....

حفظت جميع مقاسات خشبه المسرح سواء بالطول أو العرض تعرفت على كل أنواع البروجيكتورات الموجودة بالمسرح وعرفت لماذا يتم وضع الستائر الجانبية والخلفية مارست بعضا من تصنيع الديكور وتناسق الألوان مع بعضها وتعلمت بعض من الموسيقى وتدربت على بعض أنواع السولفيج كنا نحضر ندوات نادي الأدب لم أرى فرقة تقوم بالتعليم مثلما كانت فرقتنا ..

لذا كانت هي فرقتي التي أحببتها ودافعت عنها في وجه أي إنسان تسول له نفسه أن يتحدث عن الفرقة بسوء كنت قد أنهيت دراستي الثانوية والتحقت بجامعة القاهرة وكنت عندما أعود من أجازتي أتواصل مع الفرقة المسرحية إلى أن جاءت الهجرة هاجرت آسرتي إلى المنصورة ...

وتفتت الفرقة المسرحية كلا منا هاجر في مكان فمنا من ذهب إلى المنصورة ومنا من ذهب إلى القاهرة أو دمياط أو بعض المحافظات الأخرى وهى الفرقة التي كانت تخشاها أغلب الفرق المسرحية حيث أننا نحصد أغلب الجوائز في أي مهرجان تدخله الفرقة ..

كنت في تلك الفترة طالب في أحدى الكليات بالقاهرة عند بداية الأجازة الصيفية سافرت إلى أسرتي حيث مكان تهجيرهم كان الوالد قد أستأجر شقة صغيرة بالمنصورة ..

عند وصولي كانت الحالة تختلف نتيجة اختلاف المكان عن مسكننا والذي تركناه ورائنا حيث أننا في وسط غريب ولابد أن نتعامل معه فلم يكن هناك أي أصدقاء كما في مدينتي .. خرجت من البيت في اليوم التالي حتى أجد متنفسا أفرغ فيه شحنه الشجن التي داخلي أو لعلى أجد أي فرصه عمل أثناء هذه الأجازة الصيفية ..

وجدت نفسي أقف أمام باب مسرح فرقه المنصورة المسرحية ولم أستطع أن أقاوم نفسي من الدخول طرقت الباب ودخلت إلى

أحب الأماكن إلى قلبي الفرقة المسرحية ألقيت عليهم السلام وعرفتهم بنفسي..

رحبوا بى كثيرا خاصة عندما علموا أننى من المهجرين من بورسعيد تبادلنا الحديث وعرفت منهم أنهم كانوا يتابعون عمل فرقتنا في بورسعيد حيث أنها كانت دائما من الفرق المنافسة في المهرجانات المسرحية .. أحتوتنى مجموعه منهم وتصادقنا ثم عملت معهم في أحدى المسرحيات وكانت فرصه لى لنسيان عذاب التهجير ..

ولأول مره أحس اننى وسط أخوه حقيقيين .. تشاركنا في كل شيء حتى الجلوس على المقهى ولم أفارقهم ألا عند الذهاب إلى المنزل للنوم ثم حصلت على أحد الأدوار الرئيسية في أحد المسرحيات معهم ..

عند انتهاء الأجازة ودعتهم على أمل عوده قريبه .. كان ألاهتمام الأساسي الدراسة لذلك قررت البعد عن أحب شيء إلى قلبي التمثيل المسرحي ..

كانت أمنيتي إن أنضم إلى معهد التمثيل لكنة القدر وإرادة الوالد أن أنضم إلى كليه هندسه .... كنت قد أنهيت خبزي والجبن

الأبيض ومعه كوب من الشاي ثم القهوة التي تناولتها مع بضعه سجائر ثم خرجت من المقهى وسرت بضع خطوات قليله .. اتجهت بعدها إلى الكورنيش واتجهت عيناي ناحية البحر ووقفت أمتع عيناي بمنظره في هذه اللحظة ... كان دائما وأبدا البحر هو الوحيد الذي لم يفارق وقفت أنظر إليه وتذكرت أيضا أنتظامى في دراستي دون صديق ...

كان الوعي الثوري يزداد يوما بعد يوم .. إلى أن قامت الحرب بين مصر وإسرائيل حرب ٦٧ وكنت سعيد جدا بسماع أخبار انتصار جيشنا وقرب وصوله إلى تل أبيب .. بعد يومان أصبت بأكبر إحباط في حياتي عندما اتضحت الحقيقة وأننا قد هزمنا في الحرب أما الصدمة الأكبر عندما تنحى الرئيس عن الحكم .....

لم أتمالك نفسي واندفعت مسرعا إلى الشارع رافضا هذا القرار ... في البداية اعتقدت أنني سأكون وحدي في الشارع لكنى فوجئت بآلاف بل بملايين من البشر يملئون الشوارع وسط هتافات تطالب الزعيم بعدم الرحيل ...

حتى يعود الأب والزعيم إلى منصبه ليقود الأمة إلى بر الأمان.. كانت الهتافات تملأ الشوارع وتهز إرجاء المدينة هذه الشعوب

الهادرة كموج البحر لا تدرى إلى أين تتجه ولكنها خرجت إلى الشوارع للتعبير عما يدور بداخلها شاهدت رجال تلطم الخدود مثل النساء واختلطت النساء بالرجال .. الشيوخ بالأطفال كان الجميع يشعر باليتم وكان الغالبية من الشعب تتشح بالسواد وكأن هناك من مات وخرج الجميع لتوديعه ...

لكنها كانت الأراده الشعبية لمحاوله أثناء الزعيم عن قراره كان منا من يحمل على الأكتاف لترديد الهتافات كانت الهتافات عفويه وكل منا يعبر بطريقته الخاصة .. لم أعرف على وجه ألدقه كم من الوقت مر علينا ونحن نسير أو نهتف أو نجرى حسبما تكون الظروف كانت ليله متشحة بالسواد .. ولم يجد الزعيم أمامه ألا الرضوخ لقرار الشعب وعاد ليمارس مهام منصبه ..

بعدها بفترة وجيزة دخلت البلاد في حاله اللا حرب واللا سلم .. واستمرت حرب الاستنزاف والتي كانت تخرج علينا الجرايد وأبواق الإذاعات المختلفة لتعلن عن عمليه عسكريه هنا أو هناك .....

تركت البحر وذكرياتي وتوجهت إلى لوكاندتى التي تعودت كل مره أنزل إلى الاسكندريه أن أقطن بها حيث أنها بمحطة الرمل وقريبه

من البحر وأنا في طريقي إليها شاهدت هذا الشاليه الخشبي والذي يشبه شاليه نينتى وذكرياتي معه وأنا طفل صغير ...

كانت غرفتي في الطابق الأول من اللوكانده .. صعدت درجات السلم في محاوله منى للتعود على الرجل الصناعية وعكازي قام موظف الاستقبال في اللوكانده وقال لي أنه سوف يحضر لي الأسانسير لكنى قلت له بأنني أريد أن أتعود على هذا الكائن الملتصق بجسدي والذي سوف يلازمني باقي حياتي .. حياني وتمنى لي ليلة سعيدة رددت علية بمثلها ..

صعدت درجات السلم بصعوبة ولكن كنت أريد أن أتعود ذلك ثم دخلت إلى غرفتي التي تعودتها وشربت كوبا من الشاي الدافئ كنت قد أعددته ...

بعدها خلعت هذا الكائن والمسمى رجل صناعية واستلقيت على السرير .. غفوت .. أنتابتنى بعض الكوابيس القديمة كما حلمت أيضا ببعض من الأحلام الجميلة تنبهت من غفوتي على أشعه الشمس تداعب جفوني من خلال الضوء المتسلل من خلال النافذة وصوت تغريد الطيور يطرق أذني مع صوت العرافة وهى تنادى أبين زين فتحت عيني بصعوبة لكن الصوت كان يبتعد رويدا ...

رويدا بعدها قررت الخروج باكرا لاستنشاق بعض من نسمات الصباح العليل ذهبت كعادتي إلى احد المخابز ..

وكنت قد أحضرت قبلها بعض من الجبن الأبيض الجميل المذاق وذهبت إلى المقهى المعتاد لتناول الشاي والقهوة مع نسمات الصباح وصوت السيدة أم كلثوم من خلال الراديو الموجود على رف قديم بجوار صاحب المقهى ... تناولت وجبتي الصباحية واحتسيت الشاي والقهوة ..

خرجت من المقهى وجدت نفسي أقف أمام الشاليه الخشبي الذي يشبه الشاليه الخاص بنينتى الحاجة وقفت أتأمله قليلا ثم سرت وأثناء سيرى شاهدت بعض من الطلبة منهم من هم من أسكندريه ومنهم من هو مغترب مر أمامي شريط ذكريات أيامي الجامعية عندما التحقت بكلية هندسه القاهرة وكنت من أوائل دفعتي في السنوات الأولى ... حتى أن بعض الزملاء كانوا يحسدونني على هذا التفوق لكنى لم أعر الأمر أي اهتمام ...

كان كل همي أن أنهى دراستي خاصة أن والدي موظف حكومي بالتربية والتعليم وراتبه قليل .....

اجتهدت قدر الإمكان حتى لا أثقل عليهم مصاريفي الجامعية في أثناء ذلك وجدت فرصه عمل في أحدى الورش حتى أتكفل بمصاريفي الخاصة .. نجحت في هذا وكان له أكبر الأثر في نفسي إذ أنني أستطيع أن أتولى مسئوليه نفسي بعدها أبلغت العائلة أن لا يرسلوا لي أي مبالغ ماليه وكذبت عليهم إذ قلت لهم أن الجامعة تقدم لي مصروف شهري نتيجة تفوقي في جميع مراحل الدراسة بها ...

لم أرغب أن أخبرهم أنني أعمل ... خاصة وأنني أصبحت رسميا من أبناء المهجرين حيث تم تهجير مدينتي بورسعيد رسميا في منتصف ١٩٦٩ وأصبح كل شيء بالمجان حيث أن الدولة كانت ترعى المهجرين من محافظات القناة الثلاث .. كما كان هناك كار نية خاص لركوب جميع المواصلات سواء داخل المدن أو بين المحافظات بالمجان ...

تذكرت كل ذلك وأنا أرى بعض الطلبة من المغتربين عن أسكندريه وقف بعض منهم بجواري وسمعت همسا بعض أطراف من حديثهم وعن سكنهم وطريقه حياتهم ومن منهم عليه الدور في الطبخ أو النظافة وضحكت في نفسي وتذكرت نفس اليوم الذي استأجرت فيه غرفه صغيره فوق أحد أسطح مبنى من المباني

العتيقة بميدان الجيزة وكان المنظر من فوق السطح يطل على النيل وكوبري عباس ...

كانت سعادتي حينها لا توصف بوجودي بجوار النيل الذي يذكرني بالبحر على الرغم من الاختلاف ...

وأنا أستمع إلى همس الطلاب أتى من بعيد صوت فيروز وهى تغنى شط أسكندريه ... سرحت قليلا بمخيلتي في ذكريات جميله.. تجولت هذا اليوم قليلا ..

ثم عدت مره أخرى إلى المقهى لاحتساء قليلا من الشاي الدافئ مع صوت أم كلثوم وهى تشدو ببعض الأغنيات جلست بجانب نافذة زجاجيه كبيره تطل على الكورنيش لمحت من خلال النافذة شاب وفتاه يسيران وكأنهما عصفوران أو فراشتان تطيران عشقا وحبا ...

استولت على رأسي ذكريات فتاه من سكان العمارة التي كنت أسكن على سطحها في الجيزة وحينما كنت أجلس أمام الغرفة كنت أشاهد فتاه تصعد إلى السطح مع خادمتها لنشر بعض الغسيل على بعض الحبال الموجودة على السطح وأحيانا أخرى

لتضع بعض الأكل للحمام الذي يربونه فى برج الحمام الموجود على سطح العمارة ....

كنت أراها أثناء جلوسي خارج الغرفة للاستمتاع ببعض الدفء من الشمس وأحيانا آخري من خلال الشباك المواربة بغرفتي والمطل على السطح حيث أنني تعودت أن أواربه ليدخل بعض الهواء النقي أثناء وجودي بالغرفة ...

كانت ذات ابتسامه جميله وكنا نتبادل النظرات والابتسامات وهذا دفعني ولأول مره إلى كتابه الشعر في ابتسامتها ونظرتها ...

ظللت أكتب الشعر فيها ولا ألقى بالا نحو نشر هذا الشعر خاصة وأنني كنت أعتبره سرا من أسراري الخاصة جدا ولم أتحدث مع أحد عن هذه الفتاه ذات الابتسامة والنظرة التي تأخذك من العقل الواعي واعتبرتها السر الذي لابد أن أحتفظ به والى الأبد في داخلي بعد ذلك خرجت من المقهى في طريقي إلى اللوكانده لتناول جزء من الراحة ...

أثناء سيرى أستوقفتنى جنازة مرت من امامى ..

حضرتني ذكرى وفاه والدي الذي توفى سنه ١٩٧٠ في يناير منها والتي كانت من أسوء سنين عمري .. كانت هي الصدمة الثانية بالنسبة لي بعد فقد نينتى الحاجة مسبقا حيث أنني لم أستمتع إلا قليلا بحب وحنان العائلة أو التواجد معهم لفترات طويلة ....

كنت في القاهرة في جامعتي ... اضطررت إلى الذهاب إلى منزل العائلة حيث مكان التهجير الذي يقيمون بة علمت أنهم قاموا باستخراج تصريح من الحاكم العسكري للمدينة لدفن الوالد في مقابر العائلة ببورسعيد لم أستطع اللحاق بهم وانتظرت عودتهم وبقيت معهم لمده أسبوع كامل استمتعت خلاله بدفء العائلة على الرغم من حاله الحزن التي كانت سائدة في المنزل..

ألا أنني شعرت بالحنين إلى العائلة .. كان لزاما على أن أقوم بمساعده العائلة حيث أن معاش الوالد سوف يصبح قليل وأن بعض من أخوتي لازالوا في مراحل التعليم المختلفة ...

بعد انتهاء الأسبوع وقبل مغادرتي المنزل للعودة إلى القاهرة حيث جامعتي ... أصرت الوالدة على أن تطبخ بعض من الأكلات المختلفة حتى أحملها معي إلى القاهرة لكنى رفضت وبشده بحجه أن كل شيء موجود في القاهرة خاصة وأنني تعلمت فنون الطبخ

والغسيل وكل الأشياء المنزلية ... سرت بعد انتهاء الجنازة التي مرت أمامي وأنا في طريقي إلى اللوكانده حيث غرفتي التي أرتاح بها دوما وأثناء صعودي إليها ...

حضرتني ذكرى صعودي إلى غرفتي التي على سطح أحد المساكن بالجيزة أثناء دراستي بالكلية تراءى لي وجه الفتاه ذات الأبتسامه والنظرة الخلابة والتي لم أجرأ على التحدث إليها أو حتى معرفه أسمها .. فقط مجرد الابتسامات والنظرات المتبادلة والتي أحسست من داخلي أنها الفتاه التي أتمنى أن تكون لي وأكون لها..

كانت فتاه تشبهها من سكان اللوكاندة تنزل السلم إثناء صعودي وابتسمت نفس الابتسامة تخيلتها في لحظه هي .. فتحت باب غرفتي باللوكاندة وأغلقته بعد أن دخلت وجلست على السرير أتابع بعض من نشرات الأخبار من خلال الراديو الصغير الذي أحمله دائما ...

صنعت كوبا من الشاي وجلست أتابع النشرة الاخباريه بكل ما يحدث في أنحاء العالم من حروب أو انهيارات أو كوارث .. تذكرت على الفور ما قامت به طائرات العدو الاسرائيلى في نفس

العام السىء بالنسبة لي ففي أبريل من نفس العام ١٩٧٠ حيث قامت الطائرات الاسرائيليه بأبشع مجزره فى التاريخ الحديث حيث قامت هذه الطائرات ...

بضرب مدرسه لتلاميذ في المرحلة الأبتدائيه في بحر البقر وهى قرية قريبه من مدينتي وقد قتل في هذه الغارة أكثر من ثلاثين طفل بخلاف الجرحى منهم كان لهذه الحادثة أكبر الأثر في نفسي حيث أدركت حقيقة أننا أمام عدو غادر جبان يقتل الأطفال خوفا من مواجهه الجيش المصري هذا العدو الذي لم يكن انتصاره في حرب ١٩٦٧ ألا نوع من أنواع الخيانة والتراخي في داخل المنظومة العسكرية المصرية آنذاك ....

هذه الحادثة أدمت القلوب كل قلوب المصريين .. أدرت مؤشر الراديو على أحدى أغنيات السيدة أم كلثوم وأسلمت نفسي إلى السرير مع بعض من أحلامي وكوابيسي التي دائما وأبدا تراودني..

أحيانا كانت تراودني بعض من الذكريات لا أدرى على وجه الدقة ما نوع هذه الذكريات لكنى أعتقد أنها من زمن الطفولة استيقظت في صباح اليوم التالي على صوت العرافة وهى تنادى أبين زين

حاولت أن المحها من شرفه اللوكاندة لكنني لم أراها اغتسلت سريعا ونزلت إلى الشارع لعلني التقيها لم أجدها لذا قررت أن أتنفس بعض نسمات الصباح وذهبت لشراء الجبن من البقال والخبز من احد المخابز ثم الذهاب إلى المقهى الذي اعتدته دائما ..

وأنا في طريقي إلى المقهى مررت بميدان المنشية و تذكرت الزعيم وباقي السنة السيئة عندما سمعنا جميع محطات الإذاعة والتليفزيون تذيع فقط القرآن الكريم والمارشات العسكرية ...

نزل خبر وفاه جمال عبد الناصر على كالصاعقة ... عندها لم أتمالك نفسي وانهمرت الدموع من عيني والتي لم تنهمر عند موت والدي .. خرجت إلى الشارع .. سرت وحيدا على الرغم من تواجد الملايين في شوارع القاهرة حينها ... لكنني أنا الوحيد الذي يشعر باليتم في هذه اللحظات أنا الوحيد الذي انكسرت أضلاعه بكيت مثلما بكيت يوم وفاة نينتى الحاجة ..

فعلا فقدت الوالد والعائلة بأكملها .. صار كل شيء منكسرا في حياتي .....

سرت إلى المقهى لتناول كوب الشاي مع تناول أفطارى الذي تعودت عليه ... كنت في لحظه موت الزعيم أحتاج وبشده أن الجأ إلى البحر لكن مدينتي مهجره ولا يستطيع أحد الدخول إليها ألا بتصريح من الحاكم العسكري للمدينة آنذاك ..... فذهبت إلى مدينه رأس البر حيث بها كميه كبيره من المهجرين من مدينتي ومن المؤكد أنني سوف أتقابل مع أي أحد من الأصدقاء أو المعارف أو حتى من الأقارب ..... بالفعل ذهبت إلى رأس البر وكنت يوميا أذهب إلى البحر وعلى الرغم أنه نفس البحر الذي يواجه مدينتي بورسعيد ألا اننى أحسست بشيء داخلي أنه ليس بحري الذي أعتدت أن أستمع له أو يستمع هو لي ...

في أحد المرات وأنا في رأس البر كنت أنظر للبحر مر بخاطري إبراهيم ونظرت طويلا للبحر وسألته أين يمكن أن تكون إيطاليا هذه التي حدثني إبراهيم عنها وفى أي أتجاة تتواجد ..

وسألت نفسي كما سألت البحر هل يا ترى إبراهيم لازال يتذكرني أو لعلة نسيني مع الزمن كانت الأمواج الهادرة في صدري تتقاذفني فلم أكن قد رثيت على بر أحلامي ... في المساء كنت أتقابل مع بعض المعارف ونذهب سويا إلى شارع السوق حيث نجلس على القهوة وكانوا يلعبون بعض الألعاب مثل الطاولة

والكوتشينة مع سماع الراديو على بعض من البيانات العسكرية وبعض من أغاني أم كلثوم أو عبد الحليم حافظ ..

في بعض الأحيان كنا نحضر فطير من أحد محلات الحلويات المنتشرة في شارع السوق ونتقاسمها فيما بيننا وعلى الرغم من برودة الجو لكنا لم نكن نشعر بة من جو الدفء المحيط بنا ...

كان المقهى الذي أعتدت أن أدخله في الاسكندرية والذي أنا بة حاليا .. بجواره محل حلويات كبير وتذكرت فطير رأس البر وأردت أن أتذوق واحده من هذا الفطير ..

ناديت على صبى المقهى وأعطيته بعض النقود ليحضر لي فطيرة من المحل المجاور للمقهى لكنه أعتذر وبأدب عن إحضار أي شيء لأنه يعمل في المقهى فقط فشكرته وهممت بالوقوف لكنه لمح العكاز ورجلي التي لا أستطيع أن أفردها فأعتذر بشده واخذ النقود وذهب لإحضار الفطيرة عند عودته أعطاني باقي النقود فقلت له أنها له إكرامية ولكنه رفض بشده وبأدب فقلت له طيب نتقاسم الفطيرة لأنها كبيره فوافق على هذا .. وبالفعل تقاسمناها .. شربت كوب آخر من الشاي وأنا أتناول نصيبي من الفطيرة الطازجة ...

كان في داخلي إصرار وعزيمة على مواجهه الحياة بكل أشكالها على الرغم من العجز .. في تلك اللحظة مرت من أمامي سيدة تحمل مشنة على رأسها وهنا استولت على رأسي ذكرى العرافة التي قرأت الودع لي وتذكرت بعض من كلماتها من أنني ...

سوف يفارقني البعض وهناك صبيه جميله ليست من نصيبي تذكرت الذين فارقوني جميعهم .. كما تذكرت ذات الابتسامة والتي ليست من نصيبي تذكرت كل ما قالته حتى كلمه (لكن) وأعتقد أنها كانت تعنى بها أنني سوف أفقد جزء من جسدي ولا أعرف هل كان كلامها حقيقيا أم خرافه وأكل عيش كما قالت .. كنت أتمنى من داخلي أن ألتقي بها ضحكت ..

وعادت إلى ذاكرتي صديق التقيت بة في رأس البر وهو من المقربين لي وأثناء الدردشة مع بعض على المقهى ذكر لي أنه حاليا قد حصل على وظيفة في بورسعيد وأنه يعمل بدوام خمسه عشر يوما ومثلها أجازة حيث أن الذي يعمل في بورسعيد في تلك الفترة يعتبر مغترب حيث أنه يعيش بلا عائله معه بل يعمل وحيدا في المدينة لذلك كان النظام أن من يعمل في بورسعيد أن يعمل نصف شهر فقط ويتقاضى مرتبه كاملا ..

كنا في بعض الأوقات نختلي في ترابيزة بعيدا عن من يلعبون الطاولة أو الكوتشينة وأحيانا كنا نتجول ونذهب إلى حلقات الضمه والسمسمية والتي كانت تقام أيضا في شارع السوق من أبناء بورسعيد المهجرين وكنت أعرف منهم الكثير أيضا ..

كنت دائما أسأله عن المدينة وأنها قد وحشتني جدا وأريد أن تنتهي هذه الحرب البشعة حتى نعود إلى منازلنا ومعارفنا وأصدقائنا حكي لي أيضا أن المدينة تعرضت عده مرات للقصف من طائرات العدو وأن هناك بعض المباني قد تضررت نتيجة لذلك ..

عندها تذكرت طائرات العدو وهى تلقى قنابلها على المدينة وأنا طفل صغير .. كنت متشوقا لمعرفه كل أخبار المدينة وطبيعة عمله بها ..

حكي لي أنه يعمل في أحدى الثلاجات التابعة لأحدى شركات التبريد لكنها حاليا تعمل فقط لخدمات القوات المسلحة أو كما يقولون مجهود حربي وأن هذه الثلاجة تقع في أهم شوارع المدينة وأنها من أقدم الثلاجات حيث أنها أنشئت منذ أوائل القرن العشرين حيث أنها كانت مخصصه لحفظ المأكولات التي تأتى إلى

الأجانب العاملين في قناة السويس قبل تأميمها وأن هذه الثلاجة قد شهدت أغلب الحروب التي شهد تها المدينة ..

أكملت الشاي ونظرت ناحية السيدة التي تحمل المشنة على رأسها والتي تشبه العرافة وجدتها قد انصرفت وأنا جالس أتابع حركه الشارع .. حكي لي صديقي أنه وأثناء أول ورديه له وكانت ليليه أنه سمع بعض الأصوات داخل الثلاجة على الرغم أنه وحده في الوردية لكن الأصوات تتحدث ببعض اللكنات الأجنبية لم يعر الأمر أي أنتباة ولكنه لاحظ أن الإضاءة الخاصة بالثلاجة تختفي تدريجيا أو فجأة أيضا أعتقد في البداية أنها قد تكون نتيجة الغارات الجوية لذلك لم يحاول أن يتجاوب مع الأصوات لأن المدينة مهجره ولا يوجد ألا عدد قليل من العاملين المستبقيين كلا في عمله في صباح اليوم التالي وأثناء تسليمه الوردية إلى زميل آخر حكي له ما حدث ...

لكن زميله في العمل لم يعلق سوى بابتسامة لذا قرر أن يأتي عند استلام الوردية في اليوم التالي قبل أن تغرب الشمس ثم يأخذ أحد الكراسي ويذهب بعيدا عن باب الثلاجة وأنه أثناء جلوسه بعيدا كان أيضا يستمع إلى بعض الأصوات المتناحرة والصاعدة

أيضا من داخل الثلاجة إلى جانب أنه من مكانه يشاهد إطفاء النور كاملا في داخل الثلاجة

لذلك كان يجلس فى مسافة تتعدى المائة متر بعيدا عن باب الثلاجة لذلك كان يحضر معه مصباح صغير وكتاب وكذلك بعض من السندوتشات إلى جانب ترمس بة كميه من الشاي المحلى حتى لا يحتاج إلى أي شيء من داخل الثلاجة ويظل هكذا إلى أن تنتهي الوردية في الصباح ويقوم بتسليم الوردية إلى زميل آخر

حكي لي كل ذلك لم أكن أصدقه ولكن مع كثره حديثه عن عمله هذا وجدت نفسي أصغى إلية بإنصات كما أنصت أنا في السابق إلى العرافة على الرغم من عدم تصديقي لكن الشواهد تأكد حقيقة ما يحدث ..

خرجت من المقهى بعد أن دفعت ثمن مشروباتي وتركت بعض البقشيش لصبى المقهى فشكرني وأبتسم وقال تنورنا يا باشا فقلت له أنا لست باشا وضحكت وانصرفت ..

عبرت أحد الشوارع بعد المقهى بقليل وفى شارع آخر شاهدت مجموعه من عمال البناء وقد وقفوا في تجمع يشبه حاله من

التذمر مع المقاول المسئول عنهم ويبدوا أنهم كانوا يطالبون بزيادة أجرهم ...

وقفت أنظر إليهم راودتني ذكرى سنه ١٩٧٢ والتي مع بدايتها قامت انتفاضة الطلبة والتي كانت نتيجة وعود الحكومة أن سنه ٧١ هي سنه الحسم مع العدو الصهيوني ولكن لم يحدث أي حسم أو خلافه لذلك قامت الانتفاضة خرجت في وقتها المظاهرات وكانت الاشتباكات مع الطلبة والبوليس على أشدها خاصة ميدان التحرير ....

وكنت أسير به في أحد الأرصفة بعيدا عن منطقه الاشتباكات ... فجأة رأيت ذات الابتسامة والنظرة الثاقبة ولمحت بيدها بعض الكتب ..

كان البوليس يتعمد الضرب بما لديهم من هراوات غليظة خاصة على الطلبة ومن منهم يحمل كتب دراسية .... جريت ناحيتها وسحبتها من يدها في محاوله لأبعادها عن ما يدور على الساحة من اشتباكات

وأثناء الجري بها من تلك المنطقة رأيت عسكري من العساكر يحاول أن ينزل بهراوته عليها فتصديت إلى هراوته والتي خطفتها من يده وحاولت تهويشه بها ...

فجأة وجدت نفسي في وسط صراع مع كل الشرطة المتواجدة بالميدان وقد انهالوا جميعا بالضرب على ... احتضنت ذات الابتسامة حتى لا تصاب بأذى ولكن خارت قواي وسقطت على الأرض وسط بركه من الدماء كل هذا وأنا متمسك بها ...

كانت الشرطة تستخدم كل شيء من الخرزان الغليظ إلى بعض قنابل الغاز المسيل ...

إلى كل ما يتاح أمامهم وجدت نفسي في داخل أحدى سيارات الشرطة وذات الابتسامة معي في نفس السيارة حاولت هي أن تمسح بعض الدماء عن وجهي ولكن العساكر المتواجدين بالسيارة كانوا يكيلون لنا الضربات تلو الضربات لم أستطع أن أرفع يدي كي أتجنب ضربها من قبل العساكر .. تم اقتيادنا وإيداعنا أحد السجون ....

وتناوب علينا عدد لا بئس به من رجال الأمن لنأخذ الطريحة المعتبرة .. كنت أتخيل أنهم يضربون العدو الأسرائيلى المرابط

على الضفة الشرقية للقناه ... أثناء وضعي بالسجن أو المعتقل لم أرى ذات الابتسامة فلقد تم ترحيلها إلى سجن أو معتقل خاص بالنساء كما فقدت كل أخبارها ...

أتذكر بعد ذلك أنه تم الإفراج عنى وعن مجموعه من الطلبة الذين ثبت عدم تواجدهم أو مشاركتهم في المظاهرات أو أثناء تخريب بعض من الممتلكات العامة .. لم يكن لي سابق معرفه بالشرطة ألا في مناسبتين الأولى يوم استخراج البطاقة الشخصية والثانية كانت يوم مباراة الكره ...

قضيت بالمعتقل ما يقارب العشرين يوما قبل الإفراج عنى ... في أثناء تواجدي بالمعتقل تعرفت على مجموعه من الشعراء والأدباء وكذلك بعض الطلبة من كليات مختلفة تم القبض عليهم..

أيضا تعرفت على مجموعه من العمال من بعض المصانع وكانوا قد خرجوا في المظاهرات للتعبير عما يتعرضون له من غلاء المعيشة وكذلك من كذب الحكومة عليهم في سنه الحسم خاصة وأن الغالبية العظمى من الشعب قد فاض بهم ويريدون إنهاء مذله النكسة في أسرع وقت ..

تصادقنا جميعا وكنا نتناوب القصص والحكايات فيما بيننا ليلا .. كان البعض منا يتلو الأشعار وآخرون يحكون قصه أدبيه وكان هناك أيضا مجموعه من الفنانين الذين ألفوا ومثلوا رواية مسرحيه سريعة كان هناك أيضا بعض من يلقون النكتة السريعة من خلال المواقف التي نتعرض لها داخل المعتقل من ضرب وآهانات ... كان الليل هو ما يؤنسنا ويلم شملنا .. حاولت مرارا أن أبوح ببعض من قصائدي الشعرية والتي كتبتها لصاحبه الابتسامة ...

لكن الإحراج منعني خشيه أن يكون أحد يعرفها من الذين معي وتنكشف علاقتي بها كذلك عدم استطاعتي الحديث بشكل جيد بعد كل الضرب الذي نالني .. بعد خروجي من المعتقل ذهبت إلى غرفتي المتواضعة فوق سطح العمارة . لعل وعسى أن أجدها..

مرت عدة أيام لم أشاهدها ولم أعثر لها على آثر ولم أحاول أن أسأل عنها خاصة وأنني لم أرى حتى خادمتها التي كانت تصعد معها إلى السطح لذلك قررت أن أحصل على قسط من الراحة بعد تجربه المعتقل المريرة ...

فأتيت إلى هنا إلى الأسكندرية نصفى الثاني بعد مدينتي نصفى الأول ... ذهبت إلى نفس اللوكاندة التي أعتدت النزول بها ولازلت حتى اليوم أنزل بها ...

بمجرد حصولي على غرفتي تركت شنطتى .. وغادرت باحثا عن العرافة لعلني أتقابل معها لتكمل لي باقي الحكاوي لكن وللأسف الشديد لم أعثر عليها مره أخرى لكنني كنت دائما وأبدا أتذكر كلماتها التي قالتها لي ذهبت كعادتي إلى أحد محلات الأسماك لأحصل على وجبه سمك حتى أتذكر مدينتي الصغيرة وآكلات السمك بها ..

بالفعل حصلت على وجبتي ثم ذهبت حينها إلى المقهى المعتاد والمواجه للبحر حتى أرى المنظر الجميل وأنا أحتسى كوب الشاي .. مع صوت السيدة أم كلثوم من الراديو عاودت رأسي ذكريات مقهى رأس البر والأصدقاء الذين التقيت بهم هناك ...

غادرت الشارع الذي به تجمع العمال مع المقاول والذكريات التي هبت على .. .. بعدها قررت السير قليلا ثم الوقوف بجانب الكورنيش لمشاهده أسكندريه ساعة عصارى جلست على

الكورنيش ودخنت بعض من سجائري وأنا أنظر إلى الفراغ المحيط بى ...

أحسست أنني لن أقوى على السير بعد ذلك فجلست أشاهد أمواج البحر وهى ترتطم بالصخور أسفل الكورنيش فتصاعد رزا زها ليلامس وجهي ...

عندها أشرت إلى أحد التاكسيات فتوقف وسألني عن وجهتي فقلت قلعه قايتباي فرحب بى ركبت وأنطلق عندما وصلت تذكرت الماضي وأنني لم أركب تاكسيات في أي مره نزلت فيها إلى الأسكندريه .. حيث كان التجوال هو عشقي أما الآن الوضع أختلف .. كنت في الماضي أتجول بجوار الكورنيش حتى أصل إلى قلعه قايتباي ..

سيرا وأنا أرتدي جاكت من الجلد كان قد أهداه لي الخال والذي كنت أحضر بصحبته هو وزوجته عندما كان يحصل على أجازته من عملة كان دائما وأبدا يحضر إلى الاسكندرية وأنا معهم وكنت أعتز به جدا وكان يحميني من مياه الأمطار أو رزاز البحر عندما يتصاعد إلى وأنا أسير بجوار الكورنيش كان الخال يعمل في أحدى شركات البترول الأجنبية العاملة في بورسعيد

وكنت أحبه جدا وأيضا هو الذي حضر لضمانتي من القسم يوم مباراة الكره وكان يعتبرنا كلنا أبنائه أنا وأخوتي حتى أطفال الشارع والجيران كان يعاملهم بحب وحنان حيث أن الخال هذا لم يحالفه الحظ كي يكون لديه أبناء لكننا كنا جميعا أبنائه ...

ظللت بالقلعة عدد من الساعات .. لم أشعر بالجوع أو أحتياجى إلى أي شيء حيث كانت وجبه السمك كفيله بأشباعى لوقت طويل قضيت ثلاثة أيام كانت من أجمل وأمتع الأيام .. ثم عدت إلى القاهرة للانغماس في الدراسة والعمل بالورشة التي أعمل بها...

أتذكر ذات مره وأنا أسير بميدان الجيزة حيث كنت في طريقي لشراء بعض المستلزمات المنزلية ..

من منطقة قريبة منى رأيت وجه ذات الأبتسامه لكنه في هذه المرة لاتعلوه أي ابتسامه أنه وجه حزين .. كانت تسير وكأنها تحت تأثير مغناطيسي ..

كان معها واحد لا أعرف على وجه الدقة من هو هل هو زوجها أم أخوها لم أعرف في الحقيقة .. حاولت جاهدا الاقتراب منها حتى تراني لكنها كانت لا تنظر إلى أحد .. فتح الرجل باب

السيارة ووضعها بداخلها ثم فتح الباب الآخر وأنطلق بالسيارة مسرعا ..

حاولت اللحاق بالسيارة وأنا أجرى بكل قوتي خلفها حاولت أن أنادى عليها .. كيف أنادى على من لا أعرف أسمها .. توقفت نتيجة الزحام وكثره حركه المرور وأنا أنظر إلى السيارة التي ذابت وسط حشد هائل من السيارات وكأنه موجه من أمواج البحر الهادرة وراء بعضها ...

عدت أدراجي لأكمل شراء باقي مستلزماتي وأنا اسأل نفسي هل ما حدث لها كان بسبب المعتقل أم ماذا ظل هذا السؤال يراودني لعده أيام وأنا أتذكر شكلها المبتسم وشكلها حين رأيتها أخر مره ..

حاولت أكمال دراستي دون النظر خلفي بعد ذلك بفترة حصلت على شهادتي الجامعية وكنت سعيدا جدا .. لذا قررت مره أخرى الذهاب إلى الأسكندريه لقضاء يومان أو ثلاثة للاستمتاع بالبحر والسير على كورنيشها وآكلات السمك الممتعة ... لكنني لم أستطع الحصول على تلك الزيارة إلى حبيبتي أسكندريه لوصول خطاب من مكتب التجنيد الخاص بى بطلب أستدعائى للخدمة

العسكرية ... ركبت حينها إلى مكتب التجنيد وفى طريقي وأنا بالقطار الذي استقله .....

مرت بذاكرتي صوره مدرسه بحر البقر وتذكرت أيضا يوم أن قمنا بالتسطيح على القطار من بورسعيد إلى القاهرة يوم مباراة الكره .. وضحكت بشده تذكرت أشياء جميله وأخرى سيئة.....

تذكرت مدينتي وأنا طفل صغير والحرائق والدمار يحيط بها من كل جانب جراء العدوان الغاشم عليها .. تذكرت أيضا الرعب والخوف والهلع الذي كنا عليه ونحن أطفال . حتى المطر الأسود تذكرته وكأني أراه أمامي الآن ...

عند وصولنا إلى مكتب التجنيد تم أجراء كل الكشوف الطبية علينا ... ودخلنا في فتره التدريبات الأولية .. بعدها تم توزيعي على مدرسه الصاعقة ...

ثم التحقت بمدرسه ضباط الاحتياط والتي لا يستغرق التدريب بها سوى بضعه أشهر قليله حيث أن البلد في حاله حرب ولابد من تخريج أكثر من دفعه واحده في خلال السنة كانت التدريبات شاقه وقاسيه وكان هناك أيضا نسبه من الخسائر في أثناء

التدريبات ..... كانت أمنيتي وعزيمتي الوحيدة أن لا أكون من ضمن خسائر التدريبات

.....

كان هدفي مركزا على أن أخوض الحرب الحقيقية مع هذا العدو الخسيس الجبان ... الذي ضرب مدرسه التلاميذ الصغار في بحر البقر ..

عند انتهاء التدريبات حصلت على راحة لمدة ثلاثة أيام فذهبت إلى أسكندرية .. قضيت وقت طويل أتذكر تلك الحكايات وأحسست بإجهاد نزلت من القلعة وشاورت إلى أحد التاكسيات وطلبت منه أن يوصلني إلى لوكاندتى في محطة الرمل وبالفعل وصلت إلى اللوكانده وأنا فى حاله من الإرهاق جدا من كل الذكريات التي أنتابتنى أثناء جلوسي بجوار القلعة ...

صعدت إلى غرفتي وفتحت الراديو لمتابعه أخبار العالم أو الاستماع إلى أحد الأغاني الجميلة حتى تنسيني تلك الذكريات عندما مررت على استعلامات اللوكانده سألتهم أليس هناك أي أفلام قديمه في التلفاز ...

رد موظف الاستقبال أنه لا يوجد أفلام قديمه

فـي تلـك الليلـة .. لـذلك صـعدت إلـى غرفتـي والاخـتلاء للراديـو الصـغير .. ثـم أسـلمت نفسـي إلـى السـرير مـع صـوت السـيدة أم كلثوم ولم اشعر بأي شيء نتيجة التعب والإجهاد حتى كوابيسي وأحلامي لم أشعر بها ألا عندما رن في أذني صوت العرافة وهى تنادى أبين زين ..

نظرت فـي سـاعتي كانـت قـد تجـاوزت العاشـرة صـباحا ولـم أكـن متعودا أن أصحو متأخرا هكذا من قبل ..

اغتسـلت و بعـدها خرجـت كعـادتي مـن اللوكانـده وتوجهـت إلـى المخبـز لإحضـار الخبـز وأحضـرت الجـبن وأنـا فـي طريقـي ثـم توجهت بهم إلى المقهى المعتاد قابلني صبى المقهى أثناء دخولي وقال أية يا باشا خير مش زى عوايدك كل يوم بتيجى بدري قلقنا عليك .....

أطمن أنا الحمد لله كويس بس كنت مرهق شويه وده اللي أخرني فـي النـوم ... نجيـب الشـاي زى العـادة ... طبعـا صـباحك جميـل وذهب لإحضار الشاي تناولت بعض العيش مع الجبن وأنا أشاهد

البحر من خلف الواجهة الزجاجية للمقهى حيث تعودت أن أجلس وأشاهد هذا المنظر ..

كانت حركه سير السيارات كثيرة في هذا اليوم ظللت أتابع بعض من السيارات إلى جانب بعض المارة ... بعد أن تناولت الشاي والقهوة مع بعض من سجائري تذكرت أنه عقب انتهاء كافه التدريبات العسكرية وتم منحنا راحة لمده ثلاثة أيام وكعادتي ذهبت إلى الأسكندريه

وفى نفس اليوم وعقب حصولي على غرفتي تركت متعلقاتي الشخصية وذهبت إلى البحر لأجلس بجواره والاستمتاع بصوته العذب ذهبت إلى قلعه قايتباي كما هي العادة في تلك الأثناء داهمتني الذكريات ومر أمامي شريط حياتي كاملا تذكرت كل شيء منذ أيام الطفولة في بيتنا المتواضع في مدينتي الصغيرة .... وتذكرت كل من لعب معي أو تشاجر معي وكنت أضحك وأبتسم .. خاصة حواديت نينتى ساعة عصارى وتذكرت أيضا أيام الخبيز وعمل (الحنون) الذي كانت نينتى الحاجة تصر على وضع السمن البلدي والسكر عليه ... كنت أضحك كثيرا حتى أطفال الشارع والجيران تذكرتهم واحدا واحدا

ثم تذكرت الدمار الذي حل بمدينتي وأنا طفل ... السماء الحمراء والمطر الأسود ...

مر أمامي جميع الصبية الذين تعاملت معهم .. حتى مدرسه الرسم بالمرحلة الابتدائية في الصف الأول وبعد العدوان مباشره وهى تريد منى رسم الطائرات والدبابات وأنا أصر على أن أرسم فقط شاليه نينتى الحاجة المحترق والمدمر على شاطئ البحر ...

تذكرت أيضا عندما كنت في الجامعة وذات الأبتسامه وسطح المنزل في عماره من عمارات الجيزة .. ومنظر النيل من أعلى العمارة وكوبري عباس كما تذكرت بعض الطلبة الحاقدين الذين كانوا يكرهون تفوقي ..

تذكرت وفاه نينتى ويوم وداع إبراهيم وأيضا وفاه والدي ووفاه جمال عبد الناصر ...

كان شريط الذكريات يمر أمامي وكأنه شريط سينما وأنا جالس من ضمن المتفرجين في أحدى سينمات الدرجة التالته كنت أحيانا أضحك بصوت عالي وبعض الناس تمر بجواري ويشاهدونني وأنا أضحك أو أبتسم لأنني كنت المتفرج الوحيد

لشريط سينما يعرض أمامي دون أي تدخل رقابي لحذف بعض المشاهد أو تقطيع من مشاهد الفيلم ظن بعض المارة أنني مخبول أو معتوه نتيجة الضحك المستمر وهم لا يدرون لماذا أضحك ..

كان البعض منهم يتعجبون والبعض الآخر يشفقون على .. تذكرت ذات الأبتسامه مره أخرى وهى ذات وجه عبوس . كان الفيلم مليء بالأحداث والوقائع ...

وبعد يومين كاملين في أسكندريه وأستمتاعى بها وبالبحر وآكلات السمك المفضلة عندي ...

لذا قررت قضاء اليوم الباقي من أجازتي مع أسرتي بالمدينة التي كانوا مهجرين بها .. جمعت أغراضي وغادرت أسكندريه على أمل عوده قريبه إليها .. ذهبت إلى عائلتي وكم كان الشوق واللهفة للقائهم كان لي أخ أصغر منى بعده سنوات ..

كان الأقرب لي في التعامل من جميع أخوتي كنا نسهر سويا ونذهب إلى القهوة وأحيانا ندخن سيجارتين بعيدا عن أعين العائلة على الرغم من تخرجي وأعتمادى على نفسي في الدراسة والعمل..

ألا أنني لم أشرب سيجاره أمامهم ليس خوفا ولكن احتراما قضيت اليوم معهم كان ذلك فى أوائل ١٩٧٣ قبل مغادرتي توجهت إلى مسرح المنصورة للقاء الأحباب الذين أحتو ونى وأصبحنا أصدقاء علمت أن منهم من جاءت إليه الفرصة للعمل بالقاهرة تمنيت لهم التوفيق وربما أقابل أحدهم في القاهرة ... لذا عدت بعدها إلى وحدتي العسكرية وكلفت مع مجموعه من الزملاء ببعض المهام العسكرية قمنا بها على أكمل وجه ... كلفنا أيضا أكثر من مره بعبور قناة السويس ليلا ومراقبه خطوط الدفاع فى خط بارليف الحصين وتقديم تقرير مفصل إلى القيادة ...

أيضا عبرنا ذات ليله وتم تكليفنا بالقيام ببعض العمليات الحربية خلف خطوط العدو في داخل سيناء ... كانت القيادة قد أعطتنا تعليمات خاصة عن بعض البدو من عرب سيناء حتى يتسنى لنا التعامل والتزود بمعلومات منهم عن أماكن تجمعات العدو أو مخازن الذخيرة والنقط الحصينة والضعيفة في تجمعات العدو وكان على البدو أيضا مساعدتنا وتسهيل مهمتنا أو الاختباء لديهم وقت الحاجة إلى ذلك ..

مع مراعاة عدم الظهور معهم بتاتا حتى لا يعرف العدو أننا مقيمون لديهم أو يقومون بإخفائنا حتى لا يتعرضوا للانتقام من

قبل العدو .... قضينا ثلاثة ليالي متواصلة ومتوالية في عملياتنا ضد العدو الخسيس ..

خسرنا جزء من قواتنا أثناء الاشتباكات مع العدو .. لكننا فضلنا عدم ترك شهدائنا ورائنا .. ثم أصبت أنا الآخر أصابه ليست كبيره في ذراعي وعندما صدرت إلينا التعليمات بالعودة .. تم انسحابنا ليلا عن طريق البحر واضطررنا للعوم مسافة كبيره ونحن نحمل شهيدنا على أكتافنا ..

إلى أن التقطتنا زوارق المطاط الخاصة بقواتنا البحرية .. عدت إلى المقهى وشربت قهوتي وبعض من سجائري وغادرت المقهى في طريقي للتحضير لوجبه الغذاء خاصة أن الوقت قد قارب على المغرب بقليل بالفعل ذهبت إلى أحد محلات السمك وطلبت وجبه خاصة من السمك المقلي والمشوي مع الأرز والسلاطة .....

أنهيت وجبتي وغادرت المطعم أثناء سيرى لمحت المبنى الذي يشبه شاليه نينتى الحاجة فوقفت وتأملته طويلا وأنا أراجع بعض من ذكرياتي ... ذهبت إلى الكورنيش لبضع دقائق قبل الذهاب مره أخرى إلى المقهى ..

جلست في المقهى أرتشف الشاي وبعدها قهوتي مع بعض من سجائري جلست بجوار النافذة الزجاجية والتي تطل على الكورنيش مباشره .. تذكرت عند عودتي مره من بعض العمليات العسكرية خلف خطوط العدو وأنني قد أصبت .. عند عودتي تم دخولي أحدى المستشفيات العسكرية للعلاج وخضعت إلى أجراء عمليه جراحيه لاستخراج أحدى الشظايا من ذراعي لكن الحمد لله كانت بسيطة ولم تأثر على حركه الذراع .....

تذكرت أنه بعد خروجي من المستشفى العسكري أنني حصلت على راحتي التي قررها الطبيب المعالج بعشره أيام لكن عشمي وصداقتي مع قائد الوحدة طلبت منه أن تكون الراحة ثلاثة أيام فقط حتى أعود سريعا إلى وحدتي لمجابهه هذا العدو الخسيس ..

لكن القائد ابتسم وقال لي أنت بحاجه إلى هذه الراحة ولابد أن تكمل العشرة أيام كما كتبها الطبيب المعالج وتقرير الحالة الصحية والعلاج خلال تلك المدة ... بالفعل حصلت على راحتي .. ذهبت إلى غرفتي الصغيرة التي على سطح أحد مساكن الجيزة حيث أنني كنت أحتفظ بها لما لها في نفسي من ذكريات ..

فوجئت أن معظم سكان السطوح قد تم تغييرهم نظرا لانتهاء دراسة بعضهم وعودتهم إلى مدنهم وقراهم والبعض الآخر علمت أن منهم من تزوج وحصل على سكن آخر ..

تذكرت صاحبه الأبتسامه لكنى لم أعثر لها على آثر .. ظللت يومان بالغرفة أعايش ذكرياتي وأنا أبحث عن صاحبه الأبتسامه دون جدوى ...

بعد أن أنهيت الشاي والقهوة مع بعض من سجائري غادرت المقهى وأردت أن أتجول قليلا مع عكازي ورجلي الصناعية تحاملت على نفسي ووقفت أمام المبنى الذي يشبه إلى حد كبير شاليه نينتى الحاجة ..

كان الظلام قد حل وأردت مشاهده فيلم قبل الذهاب للوكانده مررت على أحدى السينمات ....

لم أصدق عيني حيث أن أفيش السينما إعلان عن فيلم (القرصان الأحمر) وقفت وضحكت حيث أنني شاهدت الفيلم وأنا صغير فلماذا لا أشاهده مره أخرى وتذكرت أنني وإبراهيم شاهدنا الفيلم سويه من بلكونه بيتهم والسينما الصيفي التي كانت مقابله لمنزلهم دفعني الفضول لمشاهدته شاهدت الفيلم وتذكرت أيام

الطفولة التي كانت تحمل في طياتها كل الحب والضحك تجولت قليلا بعد خروجي من السينما ..

في شارع خلفي بمحطة الرمل حيث يوجد بائعي سندوتشات ألكبده الأسكندرانى والتي أعشقها ولها مذاق خاص جدا أحضر صاحب العربة كرسي وترابيزه من المقهى الشعبي المقابل ..

جلست بجوار العربة على الرصيف حتى يتم تحضير طلبي تناولت أكثر من أربعه سندوتشات بعد أن انتهيت سألني بائع الكبدة أجيب حاجه ساقعه ولا شاي طلبت شاي وأنا مكاني على الرصيف أمام عربه ألكبده ...

هممت بالوقوف مستندا على عكازي ورجلي وقمت بدفع الحساب وانصرفت .. ذهبت إلى لوكاندتى وكعادتي صعدت إلى الغرفة وفتحت الراديو .. استلقيت على السرير وأنا أستمع إلى بعض من نشرات الأخبار حول العالم .. لحظتها تذكرت أنه بعد خروجي من غرفه العمليات بسبب الأصابه وذهابي إلى غرفتي فوق سطح المسكن بالجيزة .. أنني اتصلت بصاحب الغرفة وتكلمت معه عن أنني سوف أترك الغرفة نهائيا والى الأبد حيث أنني لم أعد بحاجه

إليها لأنني ذاهب إلى أسكندريه لقضاء فتره راحة ثم منها إلى وحدتي العسكرية ولن أكون قريبا من القاهرة في الفترة القادمة ..

وعلى الرغم أن هذه الغرفة لي بها ذكريات عديدة ألا أنني قررت تركها ..... أعطيت صاحب الغرفة أيجار الشهر كاملا رغم أننا لا نزال في أوله ..

لكنه رفض وبشده لكنني أصررت على ذلك .. خاصة أنني لم أبلغه بقراري هذا قبلها بفترة حتى يستطيع أن يقوم بتأجير الغرفة إلى أحد آخر ..

تركت له كل العفش الموجود بالغرفة كهدية منى إلى أي ساكن قادم خاصة أذا كان من الطلبة المغتربين .. الذين لا تساعدهم ظروفهم المادية لشراء عفش كما تركت له الكثير من المستلزمات المنزلية مثل الحلل والإطباق وبعض الأكواب وملاعق وشوك ...

بعدها قمت بوداع صاحب الغرفة .. لكنه أكد لي أن الغرفة ستكون تحت أمري أذا فكرت في يوم من الأيام بالعودة إلى القاهرة ... وأحضر أولاده وأوصاهم بذلك أمامي ...

تعانقنا وتبادلنا السلامات حينها غادرت القاهرة وكما هي العادة حزمت حقيبتي إلى الأسكندريه ونفس اللوكانده التي اعتدتها والقريبة من محطة الرمل .. وذلك حتى أكون قريبا من البحر بقدر الإمكان .. حينها تركت شنطتى وذهبت لتناول وجبه سمك من أحد محلات الأسماك ..

كنت يوميا أذهب إلى البحر وأناجيه وأستمع إلى صوته وصوت الموج المتلاطم مع الصخور أسفل الكورنيش أو أسفل قلعه قايتباي والذي يعتبر بالنسبة لي من أجمل المناظر التي رأتها عيناي ووقع بصري عليها .. ناجيت البحر كثيرا واستمعت أليه أو هو أستمع لي كنت أتطلع إلى الأفق في حاله لمعرفه المجهول وراء هذا البحر ..

وفى بعض الأوقات كنت أراقب الغروب من مكاني هذا .. في لحظه معينه من مكاني هذا أنتابنى أحساس داخلي بأنني أذا مددت يدي فسوف تعود الشمس من جديد ..

لكنني كنت أدرك أنها حركه الكون ولا تستطيع يدي أو أي يد أخرى أن تعود بالشمس ..

ها قد جاء القمر ومع تلألأ أنواره شاهدت من بعيد داخل البحر وجه ذات الأبتسامه تبتسم وتنادى على وهى تغرق أو تكاد أن تغرق مددت يدي أليها لكن وجهها كان يغطس في الماء ثم يصعد مره أخرى لينادى على واقتربت أليها لعلى أنقذها .. لم أنتبه ألا حينما سحبني أحد المارة وقال لي مش تاخد بالك كده كنت ها تغرق آلميه هنا غريقة ..

وجدت نصف رجلي وبنطلوني وقد طالتهم المياه دون أن أدرى.. ألتفت حولي وجدت بعض الناس منهم من يضحك ومنهم من يتعجب مما فعلته وجدت حذائي وشرابي ونصف بنطلوني وقد أصابهم البلل خلعت حذائي وشرابي في محاوله لتجفيفهم من المياه ..

نظرت إلى السماء وجدتها صافيه والنجوم تلمع في السماء على الرغم أننا في فصل الشتاء لكن لا يوجد سحب في السماء هذه الليلة قضيت الليل بأكمله بجوار البحر وأنا في حاله من التأمل نحو السماء الصافية أو حتى في انتظار ظهور ذات الأبتسامه مره أخرى حتى بزغ نور الصباح وأختفي الليل مع اختفاء جميع النجوم عدا نجم واحد ..

في البداية اعتقدت أن ذات الأبتسامه قد أهدته لي لكنه كان نجم الصباح ..

غادرت القلعة ولبست شرابي وحذائي بعد أن تم تجفيفهم ذهبت إلى اللوكاندة لأحصل على قسط من النوم ..

لم أنتبه من غفوتي ألا على صوت العرافة وهى تنادى أبين زين....

مع أصوات المسجد المجاور لصلاه الظهر .. نظرت في ساعتي وجدت الوقت قد أصبح الظهر ألا قليل اغتسلت ونزلت من اللوكانده متوجها إلى أحد المخابز لإحضار الخبز واشتريت أيضا الجبن ثم توجهت إلى المقهى المعتاد وهو القريب من البحر وذو نوافذ زجاجيه كبيره تطل على الكورنيش تناولت وجبتي من العيش والجبن واحتسيت كوبا من الشاي ..

ثم طلبت فنجان من القهوة مع بعض سجائري .. لأبدأ بعدها رحلتي اليومية مع البحر والسير على الكورنيش حتى موعد الغذاء الذي تناولته في أحد مطاعم الأسماك ثم عودتي مره أخرى إلى المقهى واستمعت إلى بعض الأغاني من السيدة أم كلثوم حتى أبدء يومي من جديد بجوار الكورنيش حتى الوصول إلى القلعة ثم

يأتي المساء ومع أطلاله القمر كعادته انتظرت بفارغ الصبر أن أرى عروس البحر ذات الأبتسامه مره أخرى لكنها اختفت مثلما اختفت أشياء كثيرة من حياتي قضيت بالأسكندريه ستة أيام وكنت سعيدا بها وذكرياتي التي أتذكرها بها وظهور ذات الأبتسامه كعروس البحر لي لكنها لم تظهر مره أخرى وكأنه عقاب منها لي على تركها أو عدم السؤال عنها ..

لم أعرف على وجه الدقة وتذكرت وأنا أستمع إلى أغنيه من أغنيات عبد الوهاب بصوت نجاه الصغيرة يا مسافر وحدك و فا يتنى ..

ليه تبعد عنى وتشغلني ودعني من غير ما تسلم وكفاية قلبي أنا مسلم دى عينيه دموعها بتتكلم ..

على نار الشوق أنا حاستنى وأصبر قلبي وأتمنى ..

عندها قررت مغادره أسكندريه بعد انتهاء اليوم السادس وقررت قضاء الباقي من العشرة أيام مع العائلة ذهبت إليهم في المدينة التي هاجروا إليها .. لازمني خلال هذه الأيام أخي الأصغر .. كنا نخرج سويا أو نتبادل بعض من سجائرنا ..

أو الذهاب إلى قهوة بعيده عن المنزل وتطل أيضا على النيل كان في تلك الفترة كلامي قليل جدا ..... ولا أتحدث ألا أذا تم توجيه سؤال لي كان تفكيري منصب على التدريبات التي سوف أحصل عليها بعد عودتي إلى الوحدة العسكرية والتي من المفترض أن تكون التدريبات شاقه وأكثر قسوة من التدريبات السابقة .. على الرغم أن ذراعي لازال به بعض الألم نتيجة أجراء العملية الجراحية ...

واستخراج الشاظيه منها .. كنت يوميا أذهب إلى المقهى المطل على النيل وأتناول الشاي وقهوتي مع بعض من سجائري كما كنت التقى مع بعض الأصدقاء من فرقة المنصورة المسرحية ... بعد انتهاء الأجازة ودعت أسرتي فردا فردا وقد كانت المرة الأولى التي أتبادل معهم القبلات والأحضان ولست أدرى السبب في ذلك..

لكنى أحسست برغبة حميميه في تبادل القبلات والأحضان معهم.. بعدها حزمت حقيبتي وهممت بالرحيل ودعتني أسرتي بالبكاء والأحضان أحسست وقتها أنى ذاهب إلى غير رجعه لكنى لم أبالى رددت والدتي بعض الكلمات مثل ربى يحفظك وينصرك على مين يعاديك في كل خطوه سلامه .. وإذا بها

تهديني مصحف صغير لم أستطع أن أفتحه وأقرأ منه شيء لصغر حجمه لكنى تباركت به ووضعته في جيبي العلوي بعد أن قبلته بجوار القلب .....

.....

لم أرغب أن أغادر المنصورة دون المرور على أحب الأصدقاء والمكان المقدس بالنسبة لي الفرقة المسرحية ودعتهم واحدا واحدا على أمل لقاء آخر ..

ركبت في طريقي إلى وحدتي العسكرية .. كانت التدريبات الشاقة قد بدأت وأردت أن أشارك بها .. لكن عند وصولي إلى وحدتي فوجئت بالقائد يطلبني إلى مكتبه بصفه شخصيه . تركت شنطتى وتوجهت إليه اعتقادا منى أنه سوف يكلفني بالمشاركة في التدريبات التي بدأت ووضع خطه جديدة للتدريبات لكنى فوجئت بما هو أغرب بالنسبة لي وأن القائد يطلب منى أن أختار مجموعه من الضباط والجنود لإشراكهم في عمل مسرحي وذلك للترفيه عن الجنود والضباط استغربت جدا من طلبه ولكنه أخبرني أنني لي خبره كبيره في المجال المسرحي لكنني اعترضت حيث أنني أريد أن أشارك في التدريبات ..

لكنى خضعت للأوامر على الرغم من أعتراضى من داخلي لكن القائد أصر على ذلك عندما لاحظ أيضا أن ذراعي لازالت في حاجه إلى استكمال علاج أما بالنسبة لي فقد كانت فرصه لإظهار موهبتي وصقلها خاصة وأنني بعدت عن المسرح فتره من الزمن لذا قمت باختيار مجموعه من الضباط والجنود واخترت أحدى المسرحيات الكوميدية حتى تكون بمثابة ترفيه عن ضباطنا وجنودنا ..

كما أعلنت عن تكوين وتشكيل فرقه مسرحيه تقدم العديد من الضباط والجنود للمشاركة ولم أتخيل في لحظه أن هذا العدد سوف يأتي كان بالمسرحية شخصيتان حريمي ولن نستطيع أن نحضر حريم داخل المعسكر لذا تطوع بعض من الجنود لأداء هذان الدوران وقاموا بإحضار بعض الملابس الحريمى من منازلهم كما أنضم ألينا عدد من الضباط والجنود الذين لديهم خبره سابقه في الموسيقى أو الشعر والغناء وتعاونا جميعا في أخراج سهره ممتعه للجميع كما تم تكليفي ببعض المهام الأداريه حتى يتماثل ذراعي للشفاء ..

لذلك خضعت إلى الأوامر حيث كان العلاج يحتاج إلى فتره آخري سوف تزيد عن عشره أيام لكن من خلال تواجدي بالوحدة العسكرية ..

بعدها بفترة وبعد أن تم شفاء ذراعي تماما .. انتظمت في التدريبات القتالية التي كنا نكلف بها ...

بعد فتره كبيره من التدريبات لم نقم بأي عمليات عسكريه خلف خطوط العدو .. كما لم يسمح لنا بالاقتراب من قناة السويس وقد أثار ذلك استياء البعض من ضباط وجنود .. كما كان السؤال الذي ظل يتردد بين الجميع أذا لم نقم بأي عمليات عسكريه خلف خطوط العدو فلماذا كانت التدريبات الشاقة التي تلقيناها ..

أنتاب البعض منا حاله من حالات الإحباط كنت أتذكر كل ذلك وأنا في المقهى مع قهوتي وسجائري ..

غادرت المقهى للتجول قليلا صادفت المبنى الذي يشبه الشاليه الخشبي لنينتى الحاجة وقفت وتأملته طويلا وأحسست أنه جزء منى على الرغم أنه ليس شاليه نينتى الذي أعرفه واعتدته وأنا طفل صغير وكنت ألعب داخله وتحت منه في الرمال ...

تذكرت أن القيادة العليا عندما علمت ببعض حالات الإحباط والاستياء منحت البعض منا على أجازات من يوم إلى يومان إلى ثلاثة إلى أسبوع .. لكن هذه الأجازات لم تغنى عن الاستياء العام لدى البعض منا خاصة وأننا تدربنا تدريبات قاسيه جدا وكان لدينا الاستعداد لتنفيذ أي مهام مهما كانت خطره وقاسيه تجولت قليلا ثم عدت إلى اللوكانده في محاوله للاسترخاء بعض الوقت حتى أنزل بعد العصر للحصول على وجبه السمك المفضلة ثم بعدها أتجول قليلا في المدينة التي أحببتها ..

صعدت إلى اللوكانده وفتحت الراديو لمتابعه الأخبار .. لم يكن هناك أي جديد في نشرات الأخبار لذا أدرت مؤشر الراديو على بعض الأغاني وأثناء الاسترخاء في السرير .. تذكرت أننا في الوحدة العسكرية ظللنا في حاله من الملل والاستياء حتى دخول شهر رمضان علينا ..

كان شهر رمضان بالنسبة لنا هو فتره الراحة من جميع الأعمال القتالية الصعبة .. كنا نلتقي على الإفطار أو السحور ونحن في حاله من حالات الزهق والملل مما يحدث وكم كانت التدريبات التي حصلنا عليها شاقه جدا ولكن لم نستفد منها ..

فوجئنا أيضا أن القيادة قد منحت بعض الضباط والجنود بعض الأجازات كما منحت البعض منهم رحلات عمره إلى مكة المكرمة..

لم نكن نفعل أي شيء سوى إرسال بعض برقيات التهنئة بحلول شهر رمضان إلى الأهل والأصدقاء لم يكن هناك أي شيء سوى بعض الأعمال الروتينية اليومية والتي لا تحتاج إلى تواجدنا جميعا في الوحدة العسكرية .. مع صباح الثامن من رمضان الرابع من أكتوبر ١٩٧٣ كانت المفاجأة بسحب وحدتنا المقاتلة من المنطقة القريبة من القناة إلى أحد المواقع الخلفية ...

لم نصدق ما يحدث معنا وكان هناك حزن عام عم الجميع من ضباط وجنود .. فمعنى سحب الكتيبة المقاتلة في هذا التوقيت وبعد كل التدريبات التي تلقيناها أنه لن توجد أي حاله من حالات الاشتباك مع العدو القابع على الضفة الشرقية للقناه أو المعنى الصحيح أن القيادة لا تريد أي حرب في الوقت الراهن ...

أنتابتنى حاله من حالات الملل والزهق واستأذنت في الدخول للقائد وأنا في حاله من حالات الغضب مما يحدث واستأذنته في طلب أجازه للذهاب إلى أسكندريه ..

ولكنه رفض طلبي على الرغم أن القيادة تمنح بعض الضباط الآخرين أجازات ... كانت هي المرة الأولى التي يرفض لي طلب وتناقشت معه ..

حول حاله القرف والزهق التي انتابت الجميع ضباط وجنود وتناقشنا ماذا نفعل بعد سحب الكتيبة إلى الخلف سوى الأكل والنوم وأين هو الدور المنوط بنا القيام به كجنود ..

لكنه رد على وقال الصبر ولم يزد أكثر من هذا الأغرب أنه طلب منى رفع الروح المعنوية لجنودي خرجت من مكتبه وأنا في حيره من أمري كيف أرفع الروح المعنوية لجنودي وأنا في حاجه إلى من يرفع من روحي المعنوية .

عند خروجي ناديت الشاويش محمد ....

كان هو الوحيد الذي أعتمد عليه في كل شيء وطلبت منه التوجه إلى الجميع ومحاوله رفع روحهم المعنوية ببعض الكلمات خاصة أن جميع من بالكتيبة يحبون الشاويش محمد لأنه صاحب نكته ويتعامل مع الجميع بحب واحترام سواء من منهم كبير أو صغير ...

لكنى لاحظت أن الشاويش محمد ليس كما تعودته فهو الأخر أصابه جزء من الملل والزهق مثلنا ... تنبهت من غفوتي على صوت العرافة وهى تنادى .. أبين زين .. أبين زين لكن يبدو أنه أحد أحلامي أو كوابيسي ....

بعد العصر بقليل نزلت حتى أذهب إلى محل الأسماك لأحصل على وجبتي المفضلة ... بالفعل تناولت وجبتي وتجولت قليلا متكئ على عكازي ورجلي الصناعية تراءى لي من بعيد المبنى الذي يشبه الشاليه الخشبي لنينتى الحاجة نظرت إليه هذه المرة من بعيد وسرت إلى المقهى وطلبت الشاي والقهوة مع جلوسي بجوار النافذة الزجاجية ...

تذكرت أيضا أنه عندما ناديت على الشاويش محمد وقلت له أن يرفع من الروح المعنوية للجميع أنه لم يستطع أن يلقى أي نكت من التي يلقيها دوما ..

بعدها بفترة وجيزة بحثت عنه ولكنى لم أجده ألا بعد فتره وجدته منزويا ولا يريد التحدث إلى أحد ولكنه حينما رآني هب واقفا وقال هل تريد شيء معين فقلت له أنا لا أريد شيئا أريد فقط عوده الشاويش محمد كما كان ..

جلست بجواره وأخرجت سيجارتين دخناهما سويا ثم أصر أن يعمل لي شاي ونتشارك بة فرحبت بذلك وبالفعل تشاركنا كوب الشاي مع السيجارتين بعدها لم نتناول أي سحور ألا بعض العصائر فقط وذهبنا إلى النوم ...

في اليوم التالي وهو التاسع من أكتوبر تم تجميع جميع أفراد وحدتنا وتم إدخالنا إلى أحدى دشم الطائرات الحربية

ولم نفهم لماذا تم إدخالنا أليها هل هو خوف على هذه الوحدة من غارات طيران العدو .. أم ماذا ؟

كانت الدشمة خاليه من الطائرات .. ظللنا نجمع أشيائنا داخل الدشمة وعند آذان المغرب لم يتذوق أي أحد منا طعم الأكل حيث كان الحزن يملئ الجميع ولم نذق غير أكواب العصير ومنا من أشعل سيجارته ..

عندها فوجئنا بدخول القائد ألينا وقال أنا جاى أفطر معاكم هل ستتركونى واقف وأفطر لوحدى هكذا أم سوف نأكل سويا عندها أخذ يلقى النكات وطلب من الشاويش محمد ألقاء بعض النكات علينا جميعا ضباط وجنود ..

عندها وجدنا أنفسنا نمد أيدينا إلى الطعام رغم أننا لا نريد تناول أي طعام ووسط موجه من الضحك مع ألقاء النكات من الجميع بعدها تركنا القائد وأنصرف أراد البعض منا الاسترخاء قليلا والبعض الأخر فضل مشاهده التليفزيون وكان هناك مجموعه أخرى خرجت لتدخين بعض السجائر بعيدا عن الجنود الذين فضلوا الراحة والاسترخاء في المساء تم توزيع المهام لذلك نام من نام أما الباقي فقد تناوب كلا منهم نوبته وقد رفض بعضهم تناول طعام السحور وفضل البعض العصائر والمشروبات فقط ....

خرجت من المقهى للتجول قليلا ثم أستقليت إحدى سيارات الأجرة والتي أوصلتني إلى قلعه قايتباي ...

كان هناك مجموعات من البشر حيث كان هناك أحد الأفراح وتجمع عدد كبير من المعزومين على الفرح إلى جانب بعض المارة والذين وقفوا للفرجة أيضا كان المعزومين من أهل العريس والعروسة وشاهدت بعض من أصدقاء العروسين وهم يطلقون مسدسات الصوت في الهواء وكان صوتها مرتفع جدا ..

راودتني ذكرى المعركة التي خضناها وأصوات القنابل والأنفجارات .... في صباح السادس من أكتوبر العاشر من رمضان ...

وقف القائد في وسط الدشمة الكبيرة ونادي بأعلى صوته استعداد كتيبه حرب .. لم نصدق آذاننا مما يقال لكنه أكد للجميع أن سحب كتيبتنا كان للخداع والتمويه وأنها فعلا قد آتت ساعة الحسم .. وأننا سوف نكون في طليعة المقاتلين نحو تحرير التراب المقدس ..

صدرت الأوامر باتخاذ وضع المعركة من شده كاملة ومياه وأكل مجفف إلى جانب السلاح الشخصي وكميه كبيره من صناديق الذخيرة ....

لم نصدق ما قيل لكننا فرحنا جدا وكنا نحتضن بعض على الرغم من الحزن الذي عم الجميع في الليلة السابقة ... في تلك اللحظة دخلت إلى الدشمة طائرتان هليكوبتر وصدرت ألينا الأوامر بركوب هذه الطائرات استعدادا لخوض معركة التحرير وكان أغلبنا في حاله من الاستغراب من أن هذه الطائرات كيف ستعبر فوق القناة دون أن يراها العدو وأنها من الممكن أن تكون هدف

سهل خاصة وأننا أثناء التدريبات كنا قد تعودنا على الاشتباكات على القتال الليلي أو أثناء الفجر كل ذلك إلى جانب أنه تم تكليفنا ببعض المهام القتالية لكن لم نكن نعلم ما هي الساعة التي سوف ننطلق فيها ..

لكننا انتظرنا بعض الساعات التي كانت طويلة وكأنها دهرا بأكمله .. ظللنا على هذه الحال كلا منا يفكر في أسرته .. وفى بلده لم نكن نشعر بشيء سوى أننا في سبيل تحرير الأرض ..

والتي سوف نستشهد ويسال دمائنا عليها وفى سبيلها .. كان التفكير في السير نحو الاستشهاد هو رفعه وتحرير التراب الوطني من كل من دنس هذه الأرض الطاهرة .. لم يكن هدفنا القتال للقتال .. لكنها مصر التي أستطيع أن أضحى بكل ما أملك في سبيلها ..

حتى أرواحنا لا تغلي عليها كانت أعيننا على ساعاتنا بمعدل كل دقيقه أو كل خمس دقائق .. لذلك كان الوقت طويلا وشاقا .. كان كلا منا في حاله خاصة جدا مع نفسه ومع شريط ذكرياته ...

وما هو الحلم القادم وماذا سيقول لأولاده أو كيف سيستقبلونه .. هل مرفوعى الرأس أم منكسرى الجباه .. كانت مرارة انتظار هذه الساعات أقسى من مرارة النكسة لذلك كان الهدف الوحيد أمام الجميع هو العودة بالانتصار مهما تكلف الأمر ومهما تكلف من تضحيات لم يكن أحد منا يصغى إلى الآخر كلا منا في حلمه وكيف يعود بالنصر ورافعا رأسه ..

تداخلت في رأسي أصوات مسدسات الفرح مع أصوات القنابل والأنفجارات .. تخيلت في لحظه أن رحله العبور التي تتم على أرض سيناء هي رحله من رحلات العبور التي تمت على هذه الأرض على مدار التاريخ .....

لم يخرجني من حلمي وتخيلاتي .. ألا صوت القائد وهو ينادى بأعلى صوته .. استعداد للانطلاق هللنا جميعا وكانت كلمه (الله اكبر) تردد بصوت عالي من الجميع ..

أخيرا جاء الفرج لعبورنا للدفاع عن أمنا الغالية مصر ونعود بالانتصار الذي حلمنا به لنبهر العالم أجمع ونثبت لهم أن الهزيمة لم تكن ألا جراء الصدفة البحتة للعدو الاسرائيلى ...

عند الثانية ظهرا سمعنا أصوات المدافع الثقيلة وانطلقت الطائرات المقاتلة لتدمر وتدك خط بارليف .. لم يكن أحد في العالم يتوقع أن هذه هي ساعة الانتصار لنا وهى في نفس الوقت ساعة المرارة والهزيمة للعدو الخسيس ..

فتحت الطائرات المقاتلة والمدفعية الثقيلة المجال أمام قواتنا لعبور القناة من خلال الزوارق المطاطية أو حتى من خلال أنشاء الكباري العائمة وأصبح المجال مفتوح أمام الطائرات الهليكوبتر للانطلاق ونحن على متنها حتى يتم أنزالنا خلف خطوط العدو .....

لنكون أول المشتبكين مع العدو من ناحية البر وخاصة من خلفهم ... انطلقت الطائرات التي تحملنا وهبطنا في الضفة الشرقية للقناه في منطقه تبعد عن دفاعات خط بارليف .. في هذه المنطقة دارت رحى المعركة بيننا وبين بعض من جنود العدو خاصة من منهم كان يحاول الهرب إلى الخلف من داخل خط بارليف كان معظم جنودهم يحاولون الهروب من وابل نيران الطائرات المصرية لذلك كنا لهم بالمرصاد وحاربنا في اتجاه خط بارليف والهاربون منه وفى الاتجاه الآخر ...

حيث كانت هناك بعض التعزيزات التي كانت تحاول الوصول لمساعده جنودهم الذين استغاثوا في داخل خط بارليف من وابل النيران ..

حاربنا في كل شبر وانتقلنا من موقع إلى أخر .. تنبهت على أصوات مسدسات الصوت في الفرح .. كان الجو قد بدء يميل إلى البرودة فنزلت من القلعة وأشرت إلى أحد التاكسيات وتوجهت إلى اللوكانده وصعدت إلى غرفتي .. استلقيت على السرير بعد أن فتحت الراديو الصغير لمتابعه آخر الإخبار وعندما لم أعثر حولت على محطة الأغاني القديمة كانت السيدة أم كلثوم تشدو بأغنية حتى الزمان اللي كان ....

مددت جسمي وأنا شبه جالس على السرير وأشعلت سيجارتين وأنا مندمج مع الأغنية ثم أطفئت سيجارتي وغفوت مع صوت أم كلثوم ... في تلك الليلة راودتني الكوابيس مره أخرى ثم غفوت .. بعدها بفترة تنبهت على صوت سيارة إسعاف عاليه تسير في الشارع الموازى وفى نفس اللحظة سمعت أذني صوت العرافة وهى تنادى أبين زين وتداخلت الأصوات بين رنين سيارة الإسعاف وكلمة أبين زين من العرافة نظرت في ساعتي فوجدتها قد تجاوزت السادسة صباحا ..

أردت استنشاق بعض الهواء العليل مع نسمات الصباح .. قمت بارتداء ملابسي ونزلت من اللوكانده للتجول قليلا أو لعلى التقى العرافة وأنا في تجوالي الصباحي ..

ثم أذهب بعد ذلك لشراء الجبن والخبز والتوجه بهم إلى المقهى المعتاد في أثناء عبوري الشارع لمحت المبنى الذي يشبه الشاليه الخشبي لنينتى الحاجة لكنى لم أتوقف طويلا أمامه كما هي عادتي ... تنفست نسمات الصباح مع رائحة الضباب المشبع بقطرات الندى ...

دخلت إلى المقهى وبدأت في تناول أفطارى ثم طلبت الشاي كالمعتاد .. كان الشاويش محمد يقاتل بجواري كتف بكتف كان هو ذراعي اليمين .. كان من المنيا وكان خليط بين الفلاح والصعيدي .. فلاح فصيح وصعيدي جدع إلى جانب أنه صاحب نكته حاضره دائما على أي موقف يحدث أمامه كان يقاتل بشراسة وهو يحميني إلى جانب أنه يحمل خلف ظهره علم مصر ... حتى أذا تم تحرير أحدى التحصينات بخط بارليف رفع عليه العلم المصري ...

قاتلنا بشراسة من موقع إلى آخر .. كان دائما يسبقني في الدخول إلى التحصينات المنيعة بعد فتره قتال شرسة .. رفع الشاويش محمد العلم على أحد المواقع الحصينة بعد تطهيره وأثناء تثبيت العلم ..

سقط الشاويش محمد مضرجا في دمائه .. ظل ممسكا بالعلم وأسنادة حتى لا يسقط وأنا أحتضنه بيدي لم يقل شيء سوى إلقاء نكته على نفسه كده يا محمد تموت برصاصتين فشنك ظل مبتسما وهو ينظر إلى العلم الذي يرفرف على الموقع الحصين بعدها نطق الشهادة ...

في تلك اللحظة كنت أتمنى أن أعود به وأنا حامله على أكتافي ... لكنى لن أستطيع ذلك لظروف المعركة بعدها لم أستطع ألا أن أحمله وأنزل به إلى الموقع الذي قمنا بتطهيره من قبل ...

حملته بين ذراعي ونزلت به كي أوارى جثمانه التراب حتى لا أتركها في العراء ....

الذكريات تمر بى سريعا جدا وأنا بجانب النافذة الزجاجية للمقهى كان هذا المقهى بالنسبة لي ليس مجرد مقهى انه حلم مطل على شارع الذكريات هناك أجالس وحدتي والوجع وأرتشف مرارة

الذكريات من مرارة فنجان قهوتي ... نظرت في اتجاه قلعه قايتباي ولمحت علم مصر يرفرف عليها .. سقطت الدموع من عيني عندما تذكرت الشاويش محمد وهو ممسكا بالعلم ورافضا تركه حتى لا يسقط ... عندما حملته ونزلت به كي أواريه التراب ... فوجئت بما لم أكن أتوقعه .. جندي أسرائيلى يقف أمامي وأنا حامل الشاويش محمد بين ذراعي والجندي يحمل رشاشه ..

لم يكن أمامي ألا أن أستشهد على روحي .. وروح الشاويش محمد لم تواتيني الفرصة كي أتمكن من رشاشي لكن الفرصة سانحة له كي يقتلني أسلمت آمري إلى الله ووقفت مشدوها .. وقف هو ينظر إلى لبعض الثواني وعندما أدرك أنني أحمل جثه بين ذراعي ..

ترك سلاحه أرضا وجرى ناحيتي ليساعدني أن أضع الشاويش محمد على الأرض وأوارى جثته التراب ..... حفر الأرض بيديه وبخنجره الذي يحمله وحمل معي الشاويش محمد كل هذا ونحن في حاله صمت مطبق ولم أصدق ما يحدث معي ..

قمنا بدفن الشاويش محمد .. كانت الفرصة متاحة لي أيضا كي أقتله خاصة بعد أن واريت الشاويش محمد التراب والجندي الأسرائيلى ليس بيده سلاح ..

لكنى لم أفعل لأنه فعل نفس الشيء معي .. جلست بجوار قبر الشاويش محمد وأنا أبكى وأتلو بعض من الآيات القرآنية ثم قرأت الفاتحة ترحما على روحه الطاهرة ... تذكرت مصحف أمي الذي أهدتني إياه في أخر زيارة لهم أخرجته من جيبي ووضعته فوق قبر الشاويش محمد .. تحدث معي الجندي الأسرائيلى بضع كلمات قليله باللغة العربية كان حديثه يدور حول أنه يتمنى أن يعود إلى مصر التي ولد بها وعاش بها وهو صغير وأنه سوف يسلم نفسه لي كأسير حرب حتى أعود به إلى القيادة حتى يتمكن من البقاء في مصر وأنه وهو طفل لو كان يملك القرار بيده ما غادرها نهائيا كنت أستمع له وأنا أنظر إلى قبر الشاويش محمد عندها اضطررت أن أوافق على أن يكون أسيرى واسلمة الى احد جنودي ويعود به إلى القيادة لتسليمه بعدها بثواني وقفنا ثانيه أمام قبر الشاويش محمد وقد أدى كلا منا التحية العسكرية إلى روحه ... خرجنا من الموقع بمجرد خروجنا لمح الجندي الأسرائيلى العلم المصري يرفرف أعلى الموقع فرح جدا وجرى ناحيته ليقبله وأنا

خلفه .. في تلك الإثناء لم نشعر سوى ببعض الطلقات تنهمر علينا ..

لم أتبين على وجه الدقة من أي اتجاه أتت .. سقط الجندي الأسرائيلى وهو يردد ماتسبنيش .. ما تسبنيش .. تحيا مصر .. أصبت أنا الأخر بعده طلقات لم أشعر وقتها بها تلقفته بين ذراعي في تلك اللحظة لمحت برقبته التميمة الجلدية والتي أحمل مثلها كما لمحها هو أيضا برقبتي ... لم أصدق عيني كما هو أيضا لم يصدق عينه ..

كان إبراهيم قد أشترى هاتان التميمتان ونحن بالقاهرة أثناء ذهابنا لحضور مباراة الكرة والركوب على سطح القطار وقد كانت التميمتان تحملان حرف الأى E اشتراهم إبراهيم أثناء ذهابي إلى دورة مياه المسجد وهو جالس على القهوة وتركهم معه لحين عودتنا إلى بورسعيد ولم أعرف أنة اشتراهم ألا عندما أعطاني تميمتي ومد يده مصافحا أياي كي نتعاهد فيما بيننا أن يحمل كلا منا تميمته طوال مشوار رحلة العمر القادم أعطاني إياها عندما حضر وأخبرني أنة سوف يغادر بورسعيد هو وأسرته في تلك اللحظة ....

مد يده وقبض على التميمة التي في رقبتي بشده وقطعت بين أصابعه لم يستطع حتى أن ينطق أسمى كان قد لفظ آخر أنفاسه تمسكت أنا الآخر بالتميمة التي في رقبته ومن شده الموقف خلعت في يدي .. كان كل همي أن أقوم بدفن إبراهيم صديق الطفولة بجوار الشاويش محمد كانت الدموع تنهمر من عينى لكنى لم أستطع النهوض حيث كانت الأصابه في فخذي ورجلي فلم أقوى على النهوض حتى أغمى على ..

تم أفاقتي بعدها بفترة لأجد نفسي في المستشفى وقد بترت ساقي ..... ظللت في هذه الحالة وأنا أبكى الشاويش محمد مره وصديق العمر مره آخري .. والذي وجدته بعد طول غياب ومات بين ذراعي .. لم أكن أعي هذه الصدفة أبدا ولكنه القدر في تلك اللحظة تذكرت كلمات العرافة من أن هناك من سيفارقني .. كان فراق الشاويش محمد وأخيرا إبراهيم إلى جانب من سبقوهم من الذين فارقوا الحياة وكانوا قريبين منى ...

وعلى الرغم من أخبار الانتصارات العظيمة لقواتنا لكن بكائي لم يكن بسبب رجلي .. كان بسبب من فقدت إبراهيم الذي افترقنا من قبل وتقابلنا بعد رحله طويلة ولم تكتمل ألا بموته وكذلك الشاويش محمد الذي كان يحميني طوال المعركة ..

تحية إلى روحهم والى أن نلتقي في الأخره ..

وها أنا الآن أعود إلى الأسكندريه من جديد لكن عودتي هذه المرة بعكاز ورجل صناعية لكن أهم من كل هذا أنني أحتفظ بتميمة إبراهيم معي والتي علقتها برقبتي على أمل أن نلتقي في الآخرة كما كتبت في وصيتي أن تدفن التميمة برقبتي كان مقهى الذكريات هو كل ما تبقى لي ...

جلست أشاهد أسكندريه وأنا جالس على كورنيشها الذي تعودته من صغرى وحفظت كل حجر به كل متر على الكورنيش كان صديقا لي تعودت أن أجرى وأمرح هنا منذ أيام الصبا فقد كانت أسكندريه بالنسبة لي هي عشقي وحياتي سرحت قليلا بخيالي وأنا أنظر ناحية البحر والسفن تتهادى في الأفق البعيد وكنت أنظر ناحية القلعة وأتذكر كل الإحداث وما مر بى ..

في تلك الأثناء جلست أمامي أحدى ضاربات الودع وانتبهت على صوتها وهى تقول أبين زين .. أبين زين .. نشوف بختك يادى الجدع نظرت أليها أنها هي العرافة التي كنت أبحث عنها نعم فعلا أنها هي ..

لم أستطع أن أذكر لها من أنا لكنها كانت أسرع منى في الكلام ها تشوف بختك ولا أروح أكل عيش في حته ثانيه نظرت أليها مع ابتسامه وألقيت أليها ببعض النقود وابتسمت على ما أنا فيه وأشرت أليها بالانصراف لم يكن هناك مجال لأي كلام ...

انصرفت العرافة وهى تتهادى في خطواتها وأنا أنظر أليها مع ابتسامه منى إلى أن تلاشت في وسط جموع البشر وهى تنادى أبين زين .. أبين زين إلى أن أبتعد الصوت تماما وهى تبتعد وأنا أتابعها إلى أن غابت تماما عن ناظري ...

(تمت)